جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالديدامون – شرقية

الأعلام فى شعر على محمود طه
دراسة موضوعية وفنية

إعداد

الدكتور: بدر الدين سليمان أحمد محمد

أستاذ الأدب والنقد المساعد ورئيس قسم الأدب بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالديدامون – شرقية

العدد السادس

١٤٤١هـ/ ٢٠١٩م

ملخص البحث

لقد بدأت بحثي هذا بتمهيد مطول بعض الشيء أفصحت فيه عن محتوى البحث كله في إيجاز غير مخل واطناب غير ممل فتحدثت عن مولد الشاعر ونشأته وتعليمه وبيئته التي عاش فيها بجمالها وأعرافها وأثرها في شاعريته وكيف أنها صبغت شعره بأصباغها الخاصة فكان ابناً شرعياً لعصره ومصره متحدثاً عن مصر وآلامها وهي في قيود الاحتلال وكذلك البلدان العربية ، ولم يكن ليعبر فحسب بل وجدناه يضع الحلول لهذه المآسي التي تكاد تفتك بالأمة العربية .

وبعد التمهيد قسمت البحث إلى بابين وخاتمة :-

الفصل الأول وقد جعلته بعنوان " شعر علي محمود طه في الأعلام " وجعلته من مبحثين .

١- المبحث الأول بعنوان " مدح علي محمود طه للأعلام "

٢- المبحث الثاني بعنوان " رثاء علي محمود طه للأعلام "

الفصل الثاني وجعلته بعنوان " المحاور الفنية في شعر علي محمود طه "

وجاء علي هذا النحو :-

١- الألفاظ عند علي محمود طه وأثرها في تحديد معالم الشخصية.

٢- الأسلوب عند علي محمود طه وأثره في تكوين معالم الشخصية.

٣- المعاني والأفكار عند علي محمود طه ودورهما في تجسيد معالم الشخصية.

٤- الصور الشعرية عند علي محمود طه وأثرها في تجسيد معالم الشخصية.

٥- الموسيقى عند علي محمود طه ودورها في إثراء التجربة.

ثم كانت الخاتمة لخصت فيها أهم ما انتهى إليه البحث ولا أدعي أنني بهذه الدراسة قد استوعبت جوانب الحديث عن الأعلام في شعر علي محمود طه .

وقد دعانى إلى القيام بهذا العمل ما شاع عن على محمود طه فى الأوساط الأدبية ولدى الباحثين أنه شاعر المرأة والخمر، فلما قرأت ديوانه وطالعته المرة تلو الأخرى ، إستقر فى قناعاتى أن أزيل عنه هذا الظلم الذى حصره فى هذه الدائرة الضيقة وأردت أن أُعيد له بعض حقه فقررت أن أقوم بهذا العمل وهو " الأعلام فى شعر على محمود طه دراسة موضوعية وفنية" أولاً الأعلام الإنسانية متمثلة فى أعلام عصره وغيرهم ، وكذلك أعلام البلدان العربية والإسلامية ومن هنا يجب أن نقول عنه الشاعر العربى المسلم وهذا ليس تحيزاً بل إنصافاً له ولشعره وللدور الذى وجَّه رسالة شعره إليه .

الكلمات المفتاحية:

الشاعر علي محمود طه- المهندس – المدح – الرثاء- الألفاظ- الأساليب- المعاني – الصور – الموسيقى

Research summary

in which I ،I began this research with a somewhat lengthy preamble disclosed all of this in a non-brutal briefness and unfavorable and ، education، upbringing، and I talked about his birth،redundancy and its ، customs،the environment in which he lived with its beauty so ، and how he stained his hair with its own dyes،impact on his poetry he was a legitimate son of his era and Egypt in speaking of Egypt Under but we ، and not only to cross،occupation as well as the Arab countries found it laying solutions to these tragedies that almost destroy the Arab .nation

the research was divided into two chapters ،After the introduction - :and a conclusion

I made it entitled "Poetry on ali Mahmoud Taha in ،The first chapter .the greats" and made two chapters under it

١- Chapter one entitled "Praise ali Mahmoud Taha on the greats

Chapter Two entitled "Lamentation ali Mahmoud taha on the greats ٢-

The second chapter made it entitled "The Artistic Axes in Poetry by Ali Mahmoud Taha "

And it came like this :-

١- The axis of words at Ali Mahmoud Taha

٢- The axis of the method at Ali Mahmoud Taha

٣-The axis of meanings and ideas of Ali Mahmoud Taha

٤- axis of poetic images at Ali Mahmoud Taha

٥- The music axis at Ali Mahmoud Taha

Then the conclusion summarized the most important findings of the and I do not pretend that with this study I have absorbed the ،research .aspects of talking about the greats in the poetry of ali Mahmoud Taha

He invited me to do this work that was rumored about Ali Mahmoud Taha in literary circles and among researchers that he is a poet of he ،women and wine. When I read his book and read it again and again settled in my convictions that I remove from him the injustice that he had confined in this narrow circle and I wanted to return some of his right so I decided to I do this work which is "the greats in Poetry ali The greats of ،Mahmoud Taha an objective and artistic study." Firstly humanity are represented in the greats of his time and others as well as in the greats of Arab and Islamic countries and from here we must say about him the Arab Muslim poet and this is not a bias but a fairness to him and his poetry And for the role he sent his poetry message to.

المقدمة

أحمدك اللهم حمد الشاكرين، وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين

سيدنا محمد النبى العربى الأمين،

أفصح العرب لساناً وأعلاهم بياناً ، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين ،

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ،

وبعد ،،

فلا يزال الأدب العربى بمختلف فروعه حقلاً بكراً فهو مثل ذلك الفضاء الكونى الشاسع الأبعاد ، كلما ازددنا فيه إيغالاً ، ازداد اتساعه ، وترامت أطرافه ، وأن عباب الأدب زاخر ، لايسبر غوره ، ولا يدرك منتهاه ، وهو مصدر متجدد لدراسات لا تحد ، لذلك فهو يحتاج منا إلى دراسات جادة تتناول ظواهره وقضاياه ، برؤية ترتكز على التأصيل من جانب ، والاستفاده من الدراسات الحديثه من جانب آخر ، والأدب صورة للحياة ، والأديب ابن بيئته وهذه حقيقة صادقة تنطبق على شاعرنا " على محمود طه " فقد عاش لذاته كما عاش لواقعه ومجتمعه فهو الشاعر الذاتى الغنائى شاعر الحب والجمال ، وشاعر المجتمع والوطن والقومية العربية والإسلامية ؛ لهذا كله بدأت بحثى هذا بتمهيد مطول بعض الشىء أفصحت فيه عن ذلك كله فى إيجاز غير مخل واطناب غير ممل فتحدثت عن مولده ونشأته وتعليمه وبيئته التى عاش فيها بجمالها وأعرافها وأثرها فى شاعريته وكيف أنها صبغت شعره بأصباغها الخاصة فكان ابناً شرعياً لعصره ومصره متحدثاً عن مصر وآلامها وهى قيد الاحتلال ؛ وكذلك البلدان العربية ، ولم يكن ليعبر فحسب بل وجدناه يضع الحلول لهذه المآسى التى تكاد تفتك بالأمة العربية .

وبعد التمهيد قسمت البحث إلى بابين وخاتمة :-

الباب الأول وقد جعلته بعنوان " شعر على محمود طه فى الأعلام " وجعلت تحته فصلين .

١- الفصل الأول بعنوان " مدح على محمود طه للأعلام "

٢- الفصل الثانى بعنوان " رثاء على محمود طه للأعلام "

الباب الثانى وجعلته بعنوان " المحاور الفنية فى شعر على محمود طه "

وجاء على هذا النحو :-

١ – الألفاظ عند علي محمود طه وأثرها في تحديد معالم الشخصية.

٢ – الأسلوب عند علي محمود طه وأثره في تكوين معالم الشخصية.

٣– المعاني والأفكارعند علي محمود طه ودورهما في تجسيد معالم الشخصية.

٤ – الصور الشعرية عند علي محمود طه وأثرها في تجسيد معالم الشخصية.

٥ – الموسيقى عند علي محمود طه ودورها في إثراء التجربة.

ثم كانت الخاتمة التي لخصت فيها أهم ما انتهى إليه البحث ؛ ولا أدعي أنني بهذه الدراسة قد استوعبت جوانب الحديث عن الأعلام في شعر علي محمود طه .

وقد دعاني إلى القيام بهذا العمل ما شاع عن علي محمود طه في الأوساط الأدبية ولدى الباحثين من أنه شاعر المرأة والخمر ، فلما قرأت ديوانه وطالعته المرة تلو الأخرى استقر في قناعاتي أن أزيل عنه هذا الظلم الذي حصره في هذه الدائرة الضيقة ، وأردت أن أُعيد له بعض حقه ، فقررت أن أقوم بهذا العمل وهو " دراسة الأعلام في شعر علي محمود طه دراسة موضوعية وفنية" وتتناول الأعلام الإنسانية متمثلة في أعلام عصره وغيرهم وكذلك أعلام البلدان العربية والإسلامية ومن هنا يجب أن نقول عنه الشاعر العربي المسلم وهذا ليس تحيزاً بل إنصافاً له ولشعره وللدور الذي وجَّه رسالة شعره إليه .

وعلى الله قصد السبيل

تمهيد

الشاعر حياةً وفناً

- ولد علي محمود طه سنة ألف وتسعمائة واثنين ميلادية في مدينة المنصورة بنيلها السعيد التي هي عروسه، حيث إنها تطل علي فرعه المسمي بفرع دمياط بشمال دلتا مصر، وما أدراك ما دلتا مصر؟ حيث الهواء العليل والماء العذب السلسبيل ، والخُضرة التي نمت وترعرعت بماء النيل هذا بالنسبة لدلتا مصر، ولكن للمنصورة وريفها سِحرٌ خاص فهو خَصْبٌ مُمْرِع النماء والخضرة تتخلله القنوات ، والجداول تكسوه حُلة خضراء مزدانة بكثير من المناظر الطبيعية الخلابة ، ويضاعف من جمال هذه البيئة جو معتدل علي امتداد شهور العام ؛ ونادرا ما تعكر صفوه الغيوم والأنواء فهذه صورة لبيئة الشاعر التي نشأ فيها وترعرع بها، وتغذي من ينبوعها ، وتعلم أصولها ، وفُطِم علي عُرْفها الأصيل الذي كان له أكبر الأثر في توجيه ملكته الشعرية .

- وليس معني هذا أن هذه البيئة خَلقت منه شاعراً لأن البيئة بكل ما فيها ومن فيها لا تصنع شاعراً ، وإلا لو كان الأمر كذلك لصار كل أبنائها شعراء وأني لهم ذلك! ، إذن البيئة الساحرة تعمل علي صَبْغ وتشكيل رؤية الشاعر بصبغتها هي ، ولكن لا تخلق فيه الشاعرية ولو أن كل بيئة تكسوها الخضرة وتحفها الأنهار واعتدل جوها هي بيئة شعراء ، فأين نحن من فحول شعراء العرب من أمثال امرئ القيس، وزهير ، والشنفري ، وعروة بن الورد ،والخنساء ، وكعب بن زهير ، وحسان بن ثابت ، فقد نشأوا وتربوا وفُتقت قرائحهم في بيئة صحراوية قاحلة ،لا جداول فيها ولا أنهار ولا خضرة ولا أزهار وما أبعد جوهم عن الاعتدال ومع ذلك ملأوا الدنيا شعراً ولا زلنا علي شعرهم عِيالاً.

- إذن بيئة الشاعر علي محمود طه لم تصنع منه شاعراً، كما أن الطيلسان لا يخلق محاميا ، وإنما وهبهُ الله ملكته وانتدبته من بين أقرانه ملكةُ الشعر ، فنظر إلي الطبيعة والبيئة نظرة شاعرية مما أضفي عليها جمالا يُضاف إلي جمالها ، ولو أنه وصفها كما هي لأصبح جغرافياً لا شاعراً ، فها هو جمال حمدان في كتابه " شخصية مصر" قد وصفها فأبدع الوصف ومع ذلك لم يقل أحد عنه إنه شاعر .

" وكانت أسرته متوسطة علي حظ من الثقافة فأرسله أبوه إلي " الكتاب " فالمدرسة الإبتدائية ، وهنا نراه يحاول أن يختصر الطريق فلا يدخل إلي التعليم الثانوي بل يلتحق بمدرسة الفنون التطبيقية ويتخرج فيها سنة ألف وتسعمائة وأربعة وعشرون ويعين في هندسة المباني في بلدته (١) .

وقد نَظم الشعر في سن مبكرة وكان كثير الإطلاع علي دواوين الشعراء من أمثال البحتري وشوقي وحافظ إبراهيم ولم تكن له ثقافة واسعة بالآداب الأوروبية، ولكن عرف بعض أُدبائها. وألم بطرف من مذاهبها

---

١) الأدب العربي المعاصر في مصر د/ شوقي ضيف / دار المعارف ص١٦١ .

الفنية من خلال رحلاته الكثيرة إليها، وقد ظهر أثر هذه الرحلات فى شعره فأعانت هذه المعرفة على الرغم من ضحالتها موهبته على الاتجاه بشعره إلى الاتجاه الرومانسى الذى كان يحمل لواءه جماعة " أبولو " وكان على محمود طه من أعضائها البارزين ، هذا بالإضافة إلى ثقافته العربية التى استقاها من الدواوين الشعرية القديمة والحديثة مما أدى إلى إتساع عالمه الشعرى فى سائر الموضوعات والاتجاهات المختلفة ، سواء أكان ذلك فى دائرة الشعر الذاتى الرومانسى والتأملى ، أو فى دائرة الشعر الموضوعى الواقعى والجماعى . (١)

ومن هنا وجدنا أحد الباحثين يقول : " وربما كانت النزعة الفنية هى التى جعلته يختصر طريق تعليمه فعاش فى أول الأمر لشعره الذى كان ينظمه فى أثناء تعلمه ، واختار لنفسه حياة هينة ليس فيها مشقة فى التثقيف والتحصيل ، وكأنه لم ينزع به فى أول حياته أملٌ كبير "(٣٠)

وشاعريته ترجع إلى موهبته وملكته أكثر مما ترجع إلى قراءاته وثقافاته حيث أنه لم يُغذِّ هذه الشاعرية تغذية كاملة بأصول الشعر العربى .

وكذلك قراءاته فى الأدب الغربى لم تكن واسعة ، إذ لم تتح له ثقافة عالمية ، ومع ذلك تعلم الفرنسية بنفسه إلا أنه لم يتقنها ، وإنما كان يتقن الإنجليزية ، وهو على كل حال لم يكن واسع الثقافة بآثار الغربيين ، وإن كان حاول أن يتأثر بهم وكان أهم من أعجب به "لامرتين " وغيره من شعراء الرومانسية وقد عرف أشياء عن أصحاب الرمزية الفرنسية مثل "بودلير" و"فرلين" حتى أن أحد الباحثين عقد مقارنة بينه وبين بودلير لما بينهما من صلات أدبية ونفسية تأثر بها على محمود طه وكذلك تأثر بالشاعر الإنجليزى "بايرون " (٢).

" ولقد سار شعرهُ فى الأقطار العربية ، وتأثر به شعراؤها وبخاصة الشباب منهم ، وأصبحت قصائده نماذج تستهوى كل من يحاول أن يعزف على القيثارة الشعرية ، لما يشيع فيه من رومانسية رقيقة بلغت حد الحسية المفرطة أحيانا ولما تجنح إليه من رمزية أحيانا ً أخرى ، وأعجب به شيوخهم وتوقعوا أن يكون خليفة أحمد شوقى فى إمارة الشعر "(٤).

ومع أنه كان مهندسا إلا أن موهبته حادت به عن طريق الأعمال الهندسية ، فنقل إلى الوظائف المدنية فعين مديراً للمعهد الخاص بوزارة التجارة ، فمديراً لمكتب الوزير بها، ثم ألحق بسكرتارية مجلس النواب ، ثم وكيلاً لدار الكتب المصرية ، وهى وظيفة جرت العادة ألا يشغلها غير رجال الأدب ، ولبث فيها حتى وفاته المنية عام

---

١) راجع فى ذلك مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة العدد ١١ ، ١٣ .

٢) الأدب العربى المعاصر فى مصر صـ ١٦٢ .

٣) راجع فى ذلك الأدب العربى المعاصر فى مصر و على محمود طه الشاعر والإنسان – أنور المعداوى من صـ ١٣ : ٣٩

٤) مختارات من الشعر الحديث د / عبدالحميد الطنطاوى صـ ١٣٨ .

ألف وتسعمائة وتشعة وأربعون ميلادية بعد أن خلف للعربيـة رصـيداً عظـيماً مـن الشـعر الراقـى عـبر عنـه مـن خـلال دواوينه الشعرية السبعة وهى :

١ - الملاح التائه.

٢ - ليالى الملاح التائه .

٣- أرواح وأشباح وهى مسرحية شعرية .

٤ - أغنية الرياح الأربع وهى مسرحية غنائية .

٥ - زهر وخمر.

٦ - الشوق العائد .

٧- شرق وغرب .

بالإضـافة إلى كتابـه " أرواح شـاردة " وهـو يجمـع بـين الشـعر والنثـر مـن خـلال جولاتـه فى شـعر الغـرب وآدابه .

شعره

الشاعر ابن بيئته فهو بمثابة المرآة العاكسة لما يجرى فى واقع هذه البيئة ، وبيئة على محمود طه وواقع العصر الذى عاش فيه قد فرضت عليه قيوداً حيث إن على محمود طه أحاطته بيئة خاصة ، وظروف خاصة وتقاليد خاصة ، ولقد قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات أنه : " أكره قيثارته المرحة على النغم الحزين واللحن الباكى وهو لايزال فى رونق الشبيبة كما يقول شعره" (١).

- والحقيقة أن على محمود طه لم يكن ليكره قيثارته على هذا النغم الحزين لأنه كما يقول عنه أحد الباحثين " إن على محمود طه كان واحداً من الشخصيات الانطوائية الحزينة المحلقة فى كل جو قاتم ، وكل أفق حالم ، وكل سماء تتوهج بلهب الحنين والحرمان ، وأنه لم يكن يُكَّرِه قيثارة " المرح " على الألحان الباكية ، لأن قيثارته فى تلك الفترة طبعت على هذا اللون من الألحان ، والحق أن المزاج الحزين كان مزاجاً أو طابعاً يسيطر على تلك الفترة – وهى الربع الأول من القرن العشرين ـــ وعلى شبابها ، فهم شباب يغلب عليهم الحياء والانطواء والميل إلى العزله والولع بالخيال ، وبهذه الأسلحة السلبية المغلولة كانوا يواجهون الواقع فى معركة الحياة ، وأكثر ما كان هذا الواقع يهزمهم ويصدمهم بمراراته فيرتدون عقب كل جولة من جولات النضال ونفوسهم مثخنة بالجراح ، كان الحياء يحول بين شبابهم اللافح ، وبين متعة الانطلاق .

وكان الانطواء يحول بين عواطفهم الجياشة وبين نعمة التحرر وكانت العزلة تحول بين طموحهم الوثَّاب وبين فرصة الظهور ، ومن هنا وُجِد ذلك المزاج القاتم وذلك الطبع الحزين ، نتيجة لتلك الحياة التى كانت تحيط بهم وهى خالية من أفراح النفس ، ومباهج الروح وأعياد الشعور" (٢) ، فلقد كانت البيئة التى كان الشباب يعيش فى محيطها من أسرة ومدرسة ومجتمع تبعث على الانطواء وتدعو إلى التكبيل بكل قيد من القيود ، فالتقاليد الموروثة تدعو وتفرض فرضاً على الشباب بما فيها من نظم عنيفة وأساليب صارمة ، وكل عبث بتلك التقاليد فهو عبث بقواعد العرف والآداب والأذواق ، حتى إذا خطر للشباب شىء من التجديد فى وسائل العيش ومظاهر الزى وطرائق التفكير ، كان ذلك فى رأى القائمين على أمرهم خروجاً على النظام وثورة على الاحتشام ، واندفاعاً إلى هاوية الغىِّ والفساد وانحرافاً عن معانى الفضيلة ومناهج الأخلاق ، ومن هنا وجدنا الزيات متحدثاً عن نفسه وعن جيله الذى ضم شاعرنا على محمود طه وغيره من شعراء هذه الحقبة يقول : وأنا فى سنة ألف وتسعمائة وتسعة عشر ميلادية كنت أجتاز هذا الحين : شباب طرير حصره الحياء والانقباض ، والدرس ونمط التربية ،

---

١) وحى الرسالة ـــ أحمد حسن الزيات ـــ المجلد الثانى صـ ٣٤٥

٢) على محمود طه الشاعر والإنسان ـــ أنور المعداوى صـ ٢٥ ، ٢٦

وطبيعة المجتمع فى حس مشبوب يتوقد شعورا بالجمال ، وقلب رغيب يتحرَّق ظمأً إلى الحب ، ونوازع طمَّاحة ماتنفك تجيش ، وعواطف سيالة ما تكاد تتماسك " (١).

- ولقد انقطع فى هذه البيئة الاتصال الفكرى والعاطفى بين الرجل والمرأة حين وقفت التقاليد الموروثة سداً حائلاً وجداراً منيعاً بين الشباب بين الجنسين ، وحرمان البيئة من المرأة كان له أبعد الأثر فى خلق هذه الرومانسية الوجودية والفنية فى حياة على محمود طه الأولى ، وإبداعه الأول ، وكانت مصدراً عميقاً من مصادر القلق الدفين والأسى المبكى الذى يعلن عنه صراحة فى ديوانه " الملاح التائه " هكذا كان حرمان البيئة من المرأة ، وهكذا كانت آثاره النفسية فى ذلك الجو النفسى المظلم .

والأفق الشعورى المربد عاش على محمود طه فترة من حياته وتعرض لتلك الرومانسية الوجودية التى ألقت بظلالها القاتمة على النفوس والعقول وتحولت إلى رومانسية فنية طغت على الإنتاج الأدبى ، وصبغت أكثر ما فيه من الأفكار والمشاعر، لقد عاش فى هذا الجو المُضنى قرابة ثلاثين عاماً من حياته لم يكن ذلك باختياره ، وإنما كان مجبرا عليه خضوعا لحكم المجتمع ، ورضوخا لمنطق العرف ، وإذعاناً لأَسْر التقاليد ، حين لم يكن هناك بُدٌّ من الخضوع والرضوخ والإذعان (٢).

لقد ضَنَّت بيئته عليه بما يشتهى ، وحرمته أكثر ما يطلب ولم يكن على محمود طه ممن يرضون بالقيود ويخضعون للأصفاد ولما كان نتاج مجتمعه ووليد بيئته ، ومن هنا اشتكت روحه وتعذب جسده وضجت بخيبة الرجاء أمانيه .

" اشتكت روحه من وطأة القيد وسطوة التقاليد ، وتعذب جسده من قوة الغريزة وغلبة الحرمان ، وضجت أمانيه وهو يتطلع إلى الأفق البعيد بين جنبيه رهبة المشفق من مستقبل مجهول ، وانعكس كل هذا على فنه : أناتٌ حائرة متصلة ينقلها إليك شعر تكاد تشم فيه رائحة الدموع ، شعر مظلم إن عثرت فيه على بسمة مشرقة فهى التماعة البرق الخاطف فى سماء داكنة ، تظلل حواشيها ألوان من السحاب والضباب " (٣).

- وبعد / فلقد كان شعر على محمود طه مرآة صادقة لهذا الوجود الذى عاش فيه لأنه كان صادقاً فى علاقاته صريحاً فى تعبيراته إنه يمثل الوضوح فى مظاهر السلوك واتجاهات الفن ، والشاعر تنوعت حياته بين مرحلتين مرحلة ما قبل الثلاثين من عمره وهذه الفترة كانت حافلة بالدموع ، والمرحلة الثانية كانت تعج بالبسمات .

---

١) راجع فى ذلك وحى الرسالة المجلد الثانى صـ ٣٤٦

٢) على محمود طه الشاعر والانسان صـ ٢٧ ، ٢٨ .

٣) على محمود طه الشاعر والانسان صـ ٣٠.

على محمود طه فى رحاب أبولو

وانفصاله عنها

نشأة أبولو :

كان الدكتور " أحمد زكى أبو شادى " يتابع حركة الصراع الدائر بين جماعة الديوان والمحافظين ، وفى نفس الوقت يُسِهم بأعماله الأدبية منذ العقد الثانى من هذا القرن فى النهضة الأدبية الحديثة ، وتطلعت نفسه إلى أن يؤسس مدرسة شعرية تحقق فى شعرها رسالة التجديد التى نادى بها " مطران" وجماعة الديوان وساروا فيها خطوات رائدة .

ولعل هذا الطموح هو الذى دفعه إلى أن ينأى بنفسه عن الصراع والانضواء تحت لواء حركة من حركات الشعر التى كانت تصطرع فى عنف وحاول أن يستفيد من الجميع لأنه كان يشعر أنه سيرث كل هذه الحركات التجديدية وسيبلورها ويقودها فى تيار آخر يحمل بين أفواجه كل هذه النزاعات المتصارعة (١) .

كما كان الشباب من الأدباء يراقبون هذه التيارات المتصارعةعن كثب ، ووقفوا فى وجل وحيرة وهم فى نفس الوقت يتطلعون إلى نصيب من الخلود ونباهة الشأن ومنهم على محمود طه الذى كم اشتكى وتشكى فى شعره من عدم ذيوع صيته لأنه غلب عليه الحياء والانطواء والعزلة كما أسلفنا فى الصفحات السابقة وما أكثر ما كان الواقع يصدمهم بمرارته فقد كان الحياء يحول بين شبابهم اللافح وبين متعة الانطلاق ، وكان الانطواء يحول بين عواطفهم الجياشة وبين نعمة التحرر ، وكانت العزلة تحول بين طموحهم الوثَّاب وبين فرصة الظهور وذيوع الصيت ،" وبعد انقشاع سُحب معركة الديوان الضارية مع المحافظين وركود ريحها بدأ الجو الأدبى يهدأ وتزول عنه كل الخلافات وعندها وجد أحمد زكى أبو شادى الجو مهيأ لتحقيق فكرته التى ما زالت تلح عليه ويزداد اقتناعاً بها مع مرور الأيام ويتحلق حوله هؤلاء الشبان الذين أوشكت أحلامهم فى المجد الذى كانوا يحلمون به أن تتبخر، ومن عصفت بهم أحداث الأمة الدامية وأوصلتهم إلى اليأس والمرارة ويؤلف منهم أبو شادى جماعته الأدبية الجديدة التى أعلن ميلادها فى سبتمبر سنة ألف وتسعمائة واثنين وثلاثون ميلادية وأطلق عليها جماعة " أبولو " وهى جماعة أدبية توجه كل عنايتها وطاقتها للشعر والشعراء وتعمل على إحلال التعاون والتآخى بينهم جميعا ، وكانت عضويتها مفتوحه لجميع الشعراء والأدباء ومحبى الأدب عامة وأنشأ لها أبو شادى مجلة تحمل رسالتها الأدبية وتكون لسانها الناطق وسماها " مجلة أبولو " صدر العدد الأول منها فى سبتمبر سنة ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين ؛ و قد جمعت فى عضويتها بين الكثير من أنصار الإتجاهات الأدبية المتعارضة من كلاسكيين ورومانسيين وغيرهم ، وبذلك كانت تمثل التجمع الجديد المتصل بين الجديد والقديم وبين الأصالة

---

١) تطور القصيدة الغنائية فى الشعر العربى المعاصر د / حسن أحمد الكبير ، دار الفكر العربى صـ ٤٨٩

والمعاصرة ، وقد أختير أمير الشعراء أحمد شوقى رئيسا للجمعية ، ولكنه توفى فى الرابع عشر من أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واثنين وثلاثون فخلفه مطران وكان نائبا للرئيس و معه الشاعر العظيم أحمد محرم وأحمد ذكى أبو شادى سكرتيراً ومن أعضائها : الدكتور ناجى والدكتور على العنانى وأحمد الشايب ، ومحمود أبو الوفا ، وحسن كامل الصيرفى وعلى محمود طه وغيرهم الكثير (١) .

" وكان تأليف هذه الجماعة على هذا النحو واحتضانها لجميع المواهب ومختلف التيارات الأدبية موضوع نقد ومؤاخذة سرعان ما تطور إلى هجوم وخلاف بين أنصار هذه الجماعة من الشبان بين خصومها من داعاة التجديد قبل المحافظين (٢) - فنجد العقاد منذ مقاله الأول فى " مجلة أبولو " يهاجمها ويعترض على تسميتها بمجلة أبولو ويرد عليه أبو شادى فى مقال تال وتتزايد الخلافات بينهما عندما يتناول أبو شادى ديوان العقاد " وحى الأربعين بالنقد والتحليل ويظهر عن بعض نواحى التقصير فيه " (٣).

ورغم هذا الخلاف وتزايده إلا أن مدرسة أبولو منذ نشأتها وضعت لها قوانين تعمل من خلالها وتعد هذه القوانين بمثابة الأغراض لإنشاء هذه المجلة ، وهى كما جاء فى العدد الأول منها والصادر فى سبتمبر سنة ألف وتسعمائة واثنين وثلاثون ينص على ما يلى :

١ - السمو بالشعر العربى وتوجيه جهود الشعراء توجيهاً شريفاً.

٢- ترقية مستوى الشعراء أدبيا واجتماعيا وماديا والدفاع عن مصالحهم وكرامتهم .

٣- مناصرة النهضات الشعرية والفنية فى عالم الشعر.

ويظهر من هذه الأغراض حرص الجماعة على خدمة الشعر والسمو به وخدمة رجاله الشادين به .

وهى لم تكن مدرسة بل كانت عدة مدارس تنتظم فى جماعة واحدة يؤكد ذلك ما قال به أحد أعضائها البارزين وهو الأستاذ " صالح جودت " إذ يقول " وأنا قد صحبت هذه الجماعة من صُبحها إلى مغربها أستطيع أن أقول أنها لم تكن مدرسة بالذات ، إنما كانت رابطة تجمع عدة مدارس فيها المتقارب وفيها المتنافر وقد راح بعض عناصرها فى تلك الآونة يتأثر بالبعض الآخر ، وراح فريق منهم يخاصم الفريق الآخر ، حتى كانت تشهد على صفحات مجلة أبولو نفسها خصومات بين شعراء الجماعة نفسها ، بل خصومات شعراء الجماعة مع غيرهم ، فقد كانوا يتجهون اتجاهات مختلفة فى أشعارهم ، بل لقد كان مؤسس هذه الجماعة " أبو شادى "

---

١) راجع فى ذلك مجلة أبولو العدد الثانى أكتوبر ١٩٣٢ م

٢) تطور القصيدة الغنائية فى الشعر العربى الحديث صـ ٤٩٠

٣) راجع فى ذلك مجلة أبولو العدد فبراير ١٩٣٢ ، المجلد الأول صـ ٦٩٤

موسوعة شعرية فوجدنا لهم الشعر الرمزى والرومانسى والواقعى وغير ذلك وسرعان ماأدى هذا الخلط إلى الخصومات فيما بينهم فقام خلاف بين أبى شادى والشاعر على محمود طه انتهى الخلاف بانفصال على محمود طه عن جماعة أبولو ، وكذلك بين شادى وكامل كيلانى ، وبين ناجى وعلى محمود طه ، فمزقت هذه الخلافات صفوفها وأطاحت بأهم الأهداف التى قامت الجماعة من أجلها (١)وبهذا تنتهى مرحلة الرومانسية فى شعر على محمود طه ليبدأ عهد جديد تحت لواء المدرسة الواقعية ليخرج من مرحلة الانطواء والفردية والشكوى والألم إلى التفاعل مع مجتمعه فيكون واقعياً قومياً.

فلقد كانت التجربة الكبرى للعصر الذى عاش فيه على محمود طه هى تجربة الحرية كما يقول أحد الباحثين : " لقد كانت حرية الإنسان العربى فى اختيار كل مستويات الحياة التى ينبغى أن يحياها بإرادته مستوى التفكير والتعبير والسلوك والعقيدة وبلوغ حد من ضمان العيش يليق فى عصر الشعوب بكرامة البشر، والإنسان العربى فى هذه المرحلة كان يناضل من أجل هذه القيم يناضل ضد كل القوى القاهرة التى كانت تقف فى طريقه وتحول بينه وبين نقطة الوصول ، واذا كان طريقه قد امتلأ بشتى الصخور المعوقة التى رسبت فوق وجوده ركام الفقر والجهل والمرض وكل عوامل التخلف ، فمعنى ذلك أن هناك أكثر من يد قد اشتركت فى وضع هذه الصخور لتسد بها منافذ الطريق ..

يد الإقطاع والرأسمالية ونظام الحكم تساندها وتحرص على بقائها سلطة ضاغطة هى سلطة الاستعمار ، والاستعمار وحده فى ذلك العصر ، كان هو المضمون الحقيقى لهذه التجربة : تجربة التحرر من هذا القيد الكبير الذى كان نقطة الانطلاق الموجهة لغيره من القيود (٢) .

وبهذا المفهوم أخذ شاعرنا نفسه بمبادئ الواقعية القومية فأصبح ينادى بشعره فى سبيل مبادئ هذا المذهب الجديد نجد ذلك ماثلاً فى شعره حيث تعدى شعوره وشعره وطنه المحدود مصر إلى آفاق أرحب حيث تحدث فى لوعة وحرقة عن قضية فلسطين السليبة فى عروبة أصيلة من خلال إيمانه القوى الذى لا يُحد بأمته العربية ، انظر إليه فى قصيدته والتى بعنوان " إلى أبناء الشرق " فلقد هزت قضية فلسطين أقطار الشرق العربى وأثارت مواجد العالم الإسلامى ، وهذه القصيدة دعوة حق يهتف بها الشاعر وهو فى سرير مرضه ، منبها الشرق إلى واجبه ، حافزاً قواه إلى الكفاح والنضال فى سبيل قضيته وقضية الشعوب العربية فى فلسطين وشمال أفريقيا فى هذا الوقت تقرر فيه مصائر الشعوب إذ يقول :-

---

١) تطور القصيدة الغنائية فى الشعر العربى الحديث صـ ٤٩٥

٢) على محمود طه الشاعر والإنسان صـ٩٧ ، ٨٠ .

دَعوها مُنًى وَاتركوهُ خَيالَا فما يعرف الحقُّ إلا النِّضالَ

بني الشرق! ماذا وراءَ الوعودِ نطِلُّ يمينًا ونرنو شِمالَا

وما حكمةُ الصَّمْتِ في عالم تضجُّ المطامعُ فيهِ اقتتالا

زمانكمو جَارِحٌ لا يعِفُّ رَأَيْتُ الضعيفَ به لا يُوالَى

والشاعر لم يكن بمنأى عن قضايا وطنه الأم " مصر " فلقد استشعر الشاعر من أعماقه محنة مصر وقضاياها فراح يصور مايعتمل فى نفسه من روح اليأس والحزن إزاء الاحتلال وقد كانت حالة عامة فى الشعب المصرى قال عنها أحد الباحثين : " فقد كان يَجْثُم الاحتلال الإنجليزى على صدر وادى النيل ، ولم يكن الشباب المصرى حينئذ مبتهجاً ، بل كان حزينا حزناً شديداً ، إذ كان يعانى أزمة الحياة ، وكان لا يستطيع تحقيق آماله ، بل كان يرتد دائما عن تحقيقها يائساً بائساً ، ومن هنا أصبح قرار النغم عنده قائماً ، فالحياة قائمة من حوله ، ولا يستطيع شاب أن ينال منها غير الضنى والحزن والمرارة " (١) .

وقد كان شاعرنا على محمود طه واحداً من أبناء هذا الشعب الذى تأثر أعنف التأثر بهذا الإحتلال البغيض حيث عبَّر فى حياته الأولى التى شهدت صبواته وغنائياته الذاتيه عن هذه الروح الحزينة إذ يقول من قصيدة له بعنوان الطريد التى يقول فى مطلعها :

شقيٌّ أجنَّتْهُ الدياجي السوادفُ سليبَ رقادٍ أرَّقته المخاوفُ

ترامى به ليلٌ كأنَّ سواده به الأرض غرقى، والنجوم كواسفُ

إلى أن يقول :-

هَي الأرض مهدُ الشرِّ من قبل خلقنا ومن قبل أن دبَّتْ عليها الزواحفُ

غذتها الضحايا بالجسوم فأخصبت وأترعها سيلٌ من الدَّم جارفُ

وهيهات تشفِي غُلَّةً من دمائنا ويا ليتَ ترويها الدموعُ الذَّوارفُ

ولي قصةٌ يُشجي القلوبَ حديثُها ويعجز عن تصويرها، اليوم، واصفُ

دعوتُ إلى حرِّيَّةِ الرأي معشرًا ثقافتهم ضربٌ من العلم زائفُ

يرون بأنَّ العيشَ لذَّاتُ ماجنٍ وأن قصاراهُ حُلًى وزخارفُ

---

١) الأدب العربى المعاصر فى مصر د شوقى ضيف صـ ١٣٣

إذا لمحوا نور الحقيقة أغمضوا وقالوا: ألا أين الضياءُ المشارفُ؟

عجبتُ لهذا العقل حُرًّا فما له من الوهم يُمسي وهو في القيد راسفُ

هو الحقُّ في الكوخ الحقير فحيِّه وليس بما تُزهى هناك المقاصفُ

هنا تَصدُقُ الإنسانَ عاطفةُ الهوى إذا كذَّبت ربَّ القصورِ العواطفُ

لقد سئمت نفسي الحياةَ وما أرى بديلًا عن الكأس التي أنا راشفُ (١)

هكذا استطاع الشاعر أن يعبر عن روح التشاؤم واليأس والمرارة التى ألمت به وأحاطت بالشعب المصرى فى تلك الآونة على أثر الاحتلال الإنجليزى البغيض .

ولم يستسلم الشاعر لهذه الروح اليائسة الحزينة التى أظلته على أثر هذا الاحتلال الغاشم ، وإنما اندفع ثائراً متمرداً على أسباب هذا الحزن ، ونهض يرفض هذا الاستعمار بكل أساليبه ، ومعاهداته ، ويستنهض الهمم فى أبناء مصر لإعادة أمجادها ، مبيناً أن الفداء والموت من أجل الوطن غاية يتمناها كل إنسان شريف حر يأبى الضَيِّم ويمقت الظلم ، نراه يعلن ذلك فى صرخة مدوية من خلال قصيدته التى بعنوان " مصر- " من ديوان " شرق وغرب " فنراه يستهل القصيدة متحدثاً عن عاطفته تجاه وطنه الأم " مصر- " ومشيراً عاطفة أبنائها نحوها ، ليجعل من هذا الحب كل غايات النضال للجموع المصرية إذ يقول :

هَوَى لَكِ فيهِ كلُّ ردًى يُحَبُّ فديتُكِ! هل وراءَ الموت حُبُّ؟

فديتُك مصرُ، كلُّ فتًى مشوقٌ إليكِ، وكلُّ شيخٍ فيكِ صَبُّ

ويحلُم بالفِدَى طفلٌ فطيمٌ وكلُّ رضيعةٍ في المهدِ تحبو

أراك وأينما ولَّيتُ وجهي أرى مُهَجًا لوجهك تَشْرئِبُّ

وأرواحًا عليكِ محوِّماتٍ لها فوق الضِّفافِ خُطًى ووثْبُ

عليها من دَمِ الفادين غارٌ له بيديكِ تضفيرٌ وعَصْبُ

حَمَتْكِ صدورُها يومَ التَّنادي ووقَّتْكِ الليالِيَ وهيَ حَرْبُ (٢)

---

١) ديوان على محمود طه دار العودة صـ ٩٧ ، ٩٨ .

٢) الديوان صـ ٣٨٨ .

وبعد أن انتهى من مقدمته الحماسية والعاطفية نجده يسترجع ماضى مصر العريق ، ويأسى لما صارت إليها أحوالها ، متسائلا فى مرارة وحسرة عما حدث لها من أهوال ، ومذكرا أبناء شعبه بتضحية الفدائيين وبدمائهم المراقة حتى لا ينسوا شرف العطاء والتضحية إذ يقول معدداً مآسى مصر المتمثلة فى الفتن والأحقاد والنفاق والصراعات :-

فيا لكِ مِصرُ! ما لجلالِ أمسٍ ... عَلَتْهُ غَبْرَةٌ وطَوَتْهُ حُجْبُ

وأُبَّهَ فهو رَجْعُ صَدًى وطيفٌ ... بعيدٌ ليس يستجليهِ قُرْبُ

ذَوت ريَّا ملامحِهِ وحالتْ ... مناقبهُ فهنَّ أذًى وثَلْبُ

أكان دَمُ الفدَائيِّينَ صِدْقًا ... وأصْبَحَ وهو بعدَ الأمسِ كِذْبُ

فيَهدمُ ما بنَى ويقالُ: شادوا ... وتُصدعُ وَحْدَةٌ ويُقال: رأْبُ؟

علامَ إذنٌ أُريقَ بكلِّ وادٍ ... فأوْرَقَ مُجدِبٌ وأنَار خِصْبُ؟

وجاد به شبابٌ عبقريٌّ ... وولدانٌ كفرخِ الطَّيْرِ زُغْبُ؟

أحقًّا ما يُقال: شيوخُ جيلٍ ... على أحقادهم فيهِ أكبُّوا

وكانوا الأمسِ أرسخَ من جبالٍ ... إذا ما زُلْزِلَتْ قِمَمٌ وهُضْبُ

فما لهمُ وَهَتْ منهم حُلُومٌ ... لها بِيَدِ الهوى دَفْعٌ وجَذْبُ

أأرحامٌ مقطَّعَةٌ وأرضٌ ... تعادي فوقَها أهلٌ وصَحْبُ

وأسواقٌ تُباعُ بها وتُشْرَى ... ضمائرُ هُنَّ للأهواءِ نَهْبُ

يطوف بها النِّفاقُ وفي يديهِ ... صحائفُ أُقْعمتْ زورًا وكُتْبُ

يكاد الليلُ أن يَنْسَى دُجاهُ ... إذا نُشِرَتْ ويأخذَ منه رُعْبُ (١)

ولم يكن الشاعر يَرْصد مآسى وطنه ويتوقف عند هذا الحد بل نراه يضع الحلول لهذه المآسى التى تكاد أن تفتك بالأمة ونحن معه قلباً وقالباً لأننا فى هذه الأيام نعانى مما عانى منه الشاعر ومعاصروه فالتاريخ يعيد نفسه ونحن بعد عاصفة ثورات الربيع العربى نقاسى مما قاسى منه والملجأ والمنجى منه هو تدبير الله فى أن يفرج عنا ما نحن فيه وأن تعود الأمة العربية كياناً موحداً كما كانت معتصمة بحبل الله المتين وكتابه المبين ، فنرى الشاعر

---

١) ديوان صـ ٣٨٩

يصرخ بأعلى صوته مبيننا الوقاية والحل من هذه الآفات التى حلت بالمجتمع ، فينادى بالتمسك بالدستور الذى صدر سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وعشرون الذى أُهدر و أُبيح مراراً مبينا أنه حق وعصمة من البلاء الواقع على مصر ، ثم يتحدث عن الانتخابات والصراعات الحزبية والتى كان غالباً ما يفوز بها حزب الوفد وكان وقتها هو حزب الأغلبية ، فيتألب عليه أعداؤه ، ويتهمونه بالخروج على الدستور ، هكذا ظلت مصر- مسرحا للمساوئ والمهازل التى يطيش لها العقل ، على الرغم من أن الالتزام بالدستور يقى البلاد من هذه الفتن ، لأنه ليست كلمات مكتوبة وشعارات مرددة ، وإنما هو عقيدة راسخة فى الوجدان ، يقول على محمود طه فى ذلك :

تعالوا يا بني قومي تعالوا ... إلى حقٍّ وحَسْبُ الشعبِ حَسْبُ

هو الدستور منه جَنَى قطفْنا ... ونهرُ حياتنا ملآنُ عَذْبُ

فما للشَّرْبِ والجانينَ ثاروا ... عليه بعد ما طَعموا وعَبُّوا

فأُهْدِرَ مَرَّةً وأُبيحَ أخرى ... وعِيبَ، وما لهُ عيبٌ وذنبُ

إذا ما الأكثريةُ فيه فازتْ ... تحرَّكتِ الدسائسُ وهي إلْبُ

وإن هيَ حوربَتْ عنه وذيدَتْ ... تحدَّثَ باسمهِ فَرْدٌ وحِزْبُ

عجائبُ لم تَقَعْ إلَّا بمصرٍ ... وأحداثٌ لهن يَطيش لُبُّ

تَعالُوا يا بَني قَوْمي إلَيْهِ ... فما في حُكْمِهِ قَسْرٌ وغَصْبُ

وما هو أسْطُرٌ كُتِبَتْ ولكنْ ... معانٍ في القُلوب لهنَّ غُلْبُ(١)

ولم تكن هذه القصيدة وحدها التى دعا فيها على محمود طه إلى بث روح النضال والكفاح بل نجده فى ديوانه"شرق وغرب" يتحدث فى قصيدة بعنوان" تحت الشراع" يؤكد فيها أنه لن تنعم مصر- بالحرية إلا بجلاء المستعمر عنها ، ومن هنا فلابد من التضحية والفداء اسمع إليه وهو يقول :

يا بحرُ ما بكَ ما بي! مصرُ ما بَعُدَتْ ... وَلي إليها بهذا الشعر إسرَاءُ

عَجِبْتُ والعصرُ حرٌّ كيف في يدها ... هذا الحديدُ له حَزٌّ وإدماءُ!

أقسمتُ لا رجعتْ بي فِيكَ جاريةٌ ... إنْ لم تَجِئْ عن جلاءِ القوم أنباءُ

وأنَّ مصر بحريَّاتها ظَفِرت ... فأهلها اليوم أحرارٌ أعزَّاءُ

---

١) الديوان صـ ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

أقسمتُ، إلَّا إذا نادتْ بِفتيتها فهبَّ مستقتلٌ عنها وفَدَّاءُ (١)

وإن كان على محمود طه قد مدح فنراه يمدح من أجل مصر- والعروبة وكذلك إن رثى فنجده يمجد البطولة المصرية والعربية حيث نجده يمدح العظماء أحياء ، ويبلل ثراهم بالدموع راحلين ، فقد كانت الحِقبة التى عاشها على محمود طه – النصف الأول من القرن العشرين – حقبة نضال وطنى ضد الاستعمار ، قام به أبطال ومجاهدون فى محاولة صادقة لطرده ودحره ، ولعب الشعر دوراً كبيراً فى تمجيده هؤلاء الأبطال ، وتصوير نضالهم الوطنى وسعيهم الدائب من أجل الحرية والاستقلال ، ولم يكن على محمود طه بمعزل عن الحياة الساسية فى عصره ، وكيف لا يحس الشاعر بوطأة الاستعمار ، ولا يشارك بشعره فى المناسبات الوطنية والقومية ، وهذه الحقبة شهدت خضوع الدول العربية للاستعمار الفرنسى والإنجليزى والإيطالى وكعادة العرب لا يرضون بالذل والمهانة ، فهبوا لمواجهة هذا الاستعمار ، وفى كل قُطر من أقطار العرب ظهر مجاهدون أبطال حملوا لواء الجهاد ضد هذا الاستعمار ولا زال التاريخ يذكرهم من أمثال " سعد زعلول " . عمر المختار ، وعبدالكريم الخطابى ، ويوسف العظمة ، وغيرهم كثيرون من أبطال الجهاد الوطنى والقومى ، ومن هنا فقد راح على محمود طه يشارك بشعره فى تمجيد هؤلاء الأبطال وتمجيد بطولاتهم ، وتصوير جهادهم ضد الاستعمار وهذا ما جعلنى أقوم بهذا البحث فى تناول الشاعر على محمود طه فى الأعلام مادحاً وراثياً.

ومن الأبطال الذين أشاد بهم الشاعر ، وتغنى بدورهم البارز المناضل البطل سعد زغلول .

وكذلك أشاد به الكثير من الشعراء فى مصر- من أمثال : شوقى والجارم ومنهم على محمود طه فقد رثاه بقصيدتين :

القصيدة الأولى بعنوان " النهر الظامئ " وقد نظمها حين شاهد الموكب التاريخى السائر برفات الزعيم الخالد إلى ضريحه الجديد وقد جعل هذا الضريح كعبة المجد فقد طال انتظارها لرفاته ، وتزاحم الناس فى هذا الموكب يعطى صورة حقيقية لمكانة البطل فى نفوس الشعب ، وهم فى تدفقهم يشبهون تدفق النهر وتابع أمواجه يصور ذلك على محمود طه فيقول :

طالَ انتظارُكِ بين اليأسِ والأملِ يا كعبةَ المجدِ، حَيِّ موكبَ البطلِ

هذا المآبُ المُرجَّى شُقَّةً قَصُرَتْ وغُربةٌ عن ثَراكِ الطُّهرِ لم تَطُلِ

يا لهفةَ القومِ، هلَّ ضَجُّوا لرؤيتِهِ وجدَّدوا العهدَ من أيامِهِ الأُوَلِ؟

---

١) الديوان صـ ٣٦٧ .

تَدَفَّقَ النهرُ من أقصىٰ منابعِهِ لهفانَ يسبقُ لمعَ البارِقِ العَجِلِ (١)

والقصيدة الثانية لم تبعد كثيراً عن هذه المعانىٰ فهىٰ تأبين لسعد زغلول بمناسبة الذكرىٰ العشرين لوفاته وإشادة بأعماله وبطولاته ، ونداء عليه فىٰ قبره ليقوم فىٰ وقت أصبح الوطن فىٰ حاجه إليه ماسة لكثرة دعاة الاستسلام لا السلام ، ويتحدث فيها عن ثورة الشعب فهو حين يثور يشبه البحر الهائج فلا تستطيع السدود الشم الصمود أمامه اسمع إليه وهو يقول مصوراً بطولة هذا الزعيم الوطنىٰ فىٰ جهاده ومجده الذىٰ نذر حياته من أجل وطنه وحريته واستقلاله ، ثم يصور ثورة الشعب فهو حين يثور مثل البحر الهائج يقول :

سير من الأمجاد لم يسمع بها حتىٰ أتحن فكنّ من أخباره

تلك البطولة لم تكن يوما و لم يطلع بها زمن علىٰ حضّاره

الشّعب مثل البحر إن يغضب فما تقف السّدود الشمّ في تيّاره

و رجاله الأبطال ، و يح رجاله لم يهدءوا و الظّلم في تهداره

خاضوا الحتوف فما انثنت عزماتهم عن قاهر الوادي و عن جبّاره

طلعوا علىٰ حصن الظّلام فزحزحوا أحجاره و مشوا إلىٰ أغواره

قذفوا به غضب السّرائر فانظروا للحصن يسقط في يدي ثوّاره

أمسىٰ روايات الجهاد خوافق حمر منشّرة علىٰ أسواره (٢)

وعلىٰ محمود طه موكل بالفضائل أينما كانت وحيثما حلت لهذا وجدناه يذكر من أبطال العرب فىٰ ليبيا الشهيد " عمر المختار "(٢٢)

وعلىٰ محمود طه يصور مأساة هذا البطل وشعبه فىٰ أبيات من قصيدته " فاروس الثانىٰ " التىٰ نظمها بعد سقوط موسُلينىٰ زعيم الفاشية الإيطالية الذىٰ سام الليبيين وغيرهم مرارة الإستعمار وعذبهم كثيراً ، فتحدث فىٰ هذه القصيدة عن غطرسة موسُلينىٰ وكبريائه الخادع الذىٰ سقط وسجن وفر وأصبح طريداً ، وعندما تراءت له مأساة البطل الإسلامىٰ الشهير " عمر المختار " زعيم طرابلس المعذبة ، وكذلك لم ينس فىٰ هذه القصيدة مأساة

---

١) الديوان صـ ١٨٢ .

٢) الديوان طبعة جزيرة الورد طـ ٢٠٠٩ صـ ٤٣٤ .

٣) أحد شيوخ الزوايا فىٰ ليبيا وقائد ليبىٰ شهير قاد جهاد شعبه ضد الاستعمار الإيطالىٰ وكان نموذجاً جيداً للوطنىٰ المخلص وظل يقود شعبه للجهاد حتىٰ تخلص منه الإيطاليون بالإعدام شنقاً عام ١٩٣١ م .

لبنان في ضرب بيروت بقنابل الأسطول في الحرب العثمانية الإيطالية ، وكذلك مطامع الفتح في الصومال ، وفظائع عزو الحبشة وحلم احتلال مصر قبل موقعة العلمين الأخيرة .

فالمختار هو روح يملأ الشرق نشيداً يتغنى ببطولته وجهاده الشرق كله إذ يقول مخاطباً موسليني :

موسُلِيني! لَسْتَ مِنْ أمسٍ بعيدَا فاذكرِ «المُختارَ» والشَّعبَ الشَّهيدَا

هوَ روحٌ يَملأ الشَّرقَ نشِيدَا وَيُنادِيكَ، ولا يألو وَعِيدَا:

موسُليني! خُذ بكفَّيْكَ الحَدِيدَا وَصُغْ القَيْدَ لِسَاقَيْكَ عَتِيدَا

أو فَضَعْ منكَ على النَّصْلِ وَرِيدَا فَدَمِي يَخْنُقُكَ اليَوْمَ طَرِيدَا!!

وكذلك فقد قال قصيدة يحيى فيها بطل الإسلام المجاهد عبد الكريم الخطابى والقصيدة التى نظمها على محمود طه بعنوان بطل الريف هى تحية للبطل عبدالكريم الخطابى وإشادة ببطولته ودوره في مقاومة الاستعمار في وطنه مراكش فقد أرادت فرنسا أن تنقل الخطابى إلى منفى جديد بعد أن قضى في ديونيون عشرين عاماً ، وأتاح الله له فرصة النزول ببورسعيد المصرية ، وكانت السفينة في طريقها إلى فرنسا حيث المنفى الجديد وأبت مصر شعباً وحكومة أن تعيده إلى أسر فرنسا رغم التهديد والوعيد ، ووقف العالم العربى وراء مصر الأبية ، وبذلك أنقذت النخوة العربية أحد أبطالها الذين كافحوا الاستعمر وصاولوا الاستعباد بقوة الإيمان وحد السيف يصور ذلك على محمود طه فيقول :

في المغرب الأقصى فتًى من نورِها قَدَحَتْ به كفُّ السماءِ زِنادَا

سَلَّتْهُ سيفًا كي يحرِّرَ قَوْمَهُ وَيَزِيلَ عن أوطانِهِ استعبادَا

ما بالُكم ضِقْتُم بِهِ وحَشَدْتُمُ من دونِهِ الأسيافَ والأجنادَا

أشْعَلْتُموها ثورةً دَمَوِيَّةً لا تعرفون لنارِها إخمادَا

حتى إذا أَوْهَى القتالُ جِلَادَكم ومضى أشَدَّ بسالةً وجِلادَا

جئْتُمْ إليهِ تُهادِنون سُيوفَهُ وسيوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادَا

وكتبتمو عهدًا — بحَدِّ سيوفكم— مَزَّقْتُمُوهُ ولم يجِفَّ مِدادَا

ويرحب الشاعر بالأمير في بلده وبين أهله ، ويرى وطن العروبة كله وطناً له ، يستطيع أن ينزل في أى بلد شاء إذ يقول :

الأَهْلُ أَهْلُك، يا أميرُ، كما تَرَىٰ والدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وعِمَادَا

أَنَّىٰ نَزَلْت بمصرَ أو جاراتِها جنَّتَ العُروبةَ أُمَّةً وبِلادَا

مَدَّتْ يدَيْها، واحْتَوَتْكَ بصدرها أُمٌّ يَضُمُّ حنانُها الأولادَا

ومن الأبطال المجاهدين الذين تناولهم علىٰ محمود طه بشعره السيد " أمين الحسينىٰ " مفتىٰ فلسطين المجاهد البطل أحد أقطاب المجاهدين فىٰ فلسطين ضد الانتداب البريطانىٰ فىٰ فلسطين ، وكان له دور فىٰ مقاومة اليهود .

ومنهم كذلك الأمير " شكيب أرسلان " أحد أقطاب المجاهدين فىٰ لبنان وسوريا ضد الاستعمار.

وكذلك تناول بشعره المجاهد السورىٰ العظيم " يوسف العظمة " وهو أحد المجاهدين الأبطال ضد الاحتلال الفرنسىٰ لسوريا ، ويعد يوسف العظمة بطل معركة " ميلسون " التىٰ جرت فىٰ يوليو ألف وتسعمائة وعشرون بين السوريين والفرنسيين ،فقد كان العظمة وزيراً للحربية السورية آنذاك فقاد فصائل المقاومة وكان قائد الفرنسيين الجنرال " غورو " المندوب السامىٰ الفرنسىٰ لسوريا ولبنان .

وعلىٰ الرغم من استبسال العظمة ذلك القائد العربىٰ إلا أنه حاقت بهم هزيمة نكراء منذ اليوم الأول للمعركة انتهت باستشهاد القائد البطل يوسف العظمة يوم أربع وعشرون من شهر يوليو سنة ألف وتسعمائة وعشرون ومن هؤلاء الأبطال المجاهدين الذين مجدهم ذلك البطل المصرىٰ الأشهر " محمد صبرىٰ أبو علم " باشا زعيم المعارضة فىٰ مجلس الشيوخ ، ونقيب المحامين الوطنيين وسكرتير عام الوفد المصرىٰ .

• وما أعظم نشيده القومىٰ العربىٰ والإسلامىٰ الذىٰ بعنوان " نداء الفداء" أو "أنشودة الجهاد فىٰ حومة فلسطين " نراه يصرخ من أعماقه صرخة شعرية مدوية ثائرة غاضبة فىٰ أعقاب احتلال اليهود لفلسطين سنة ألف وتسعمائة وثمانٍ وأربعين مخاطباً أبناء قومه وإخوانه فىٰ العروبة والإسلام ، مبيناً أن اليهود قد جاوزوا الحد والمدىٰ فىٰ ظلمهم ، فوجب علىٰ العرب جميعاً مسلمين ومسيحيين الجهاد وحمل السلاح وأن يهبوا من غفلتهم وسباتهم لينقذوا العروبة من محنتها ، وليحافظوا علىٰ أمجادهم ودينهم فىٰ المسجد والكنيسة علىٰ السواء ، فعيسىٰ عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام يتعانقان فوق هذه الأرض المقدسة السليبة ذلك لأنهما رسولا السلام والإخاء والمحبة ، ومبعوثا العناية الإلهية لإنقاذ الإنسان من الظلم والجور ، لذا فإن الغاية واحدة بين أتباعهما علىٰ طريق الكفاح ضد الظلم والعدوان والاستبسال حتىٰ آخر قطرة من دمائهم ، فإما الحياة الكريمة وإما الموت والاستشهاد فىٰ سبيل تحرير فلسطين فقال فىٰ أسىٰ وغطب وحماسة :

أَخِي ، جَاوَزَ الظَّالِمُونَ المَدَىٰ فَحَقَّ الجِهَادُ ، وَحَقَّ الفِدَا

أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ العُرُوبَـةَ مَجْدَ الأُبُوَّةِ وَالسُّـؤْدَدَا ؟

وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَلِيلِ السُّيُـوفِ يُجِيبُونَ صَوْتاً لَنَا أَوْ صَدَىٰ

فَجَرِّدْ حُسَامَكَ مِنْ غِمْـدِهِ فَلَيْسَ لَـهُ، بَعْدُ، أَنْ يُغْمَـدَا

أَخِي، أَيُّهَـا العَرَبِيُّ الأَبِيُّ أَرَىٰ اليَوْمَ مَوْعِدَنَا لاَ الغَـدَا

أَخِي، أَقْبَلَ الشَّرْقُ فِي أُمَّـةٍ تَرُدُّ الضَّلالَ وَتُحْيِي الهُـدَىٰ

أَخِي، إِنَّ فِي القُدْسِ أُخْتاً لَنَـا أَعَدَّ لَهَا الذَّابِحُونَ المُـدَىٰ

صَبَرْنَا عَلَىٰ غَدْرِهِمْ قَادِرِيـنَ وَكُنَّا لَهُمْ قَدَراً مُرْصَـدَا

طَلَعْنَا عَلَيْهِمْ طُلُوعَ المَنُـونِ فَطَارُوا هَبَاءً، وَصَارُوا سُدَىٰ

أَخِي، قُمْ إِلَىٰ قِبْلَةِ المَشْرِقَيْـنِ لِنَحْمِي الكَنِيسَةَ وَالمَسْجِـدَا

أَخِي، قُمْ إِلَيْهَا نَشُقُّ الغِمَـارَ دَمَاً قَانِياً وَلَظَىً مُرْعِـدَا

أَخِي، ظَمِئَتْ لِلْقِتَالِ السُّيُوفُ فَأَوْرِدْ شَبَاهَا الدَّمَ المُصْعَـدَا

أَخِي، إِنْ جَرَىٰ فِي ثَرَاهَا دَمِي وَشَبَّ الضَّرَامُ بِهَا مُوقِـدَا

فَفَتِّشْ عَلَىٰ مُهْجَـةٍ حُرَّةٍ أَبَتْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا العِـدَا

وَخُذْ رَايَةَ الحَقِّ مِنْ قَبْضَـةٍ جَلاَهَا الوَغَىٰ ، وَنَمَاهَا النَّدَىٰ

وَقَبِّلْ شَهِيداً عَلَىٰ أَرْضِهَـا دَعَا بِاسْمِهَا اللهَ وَاسْتَشْهَـدَا

فِلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكِ الشَّبَابُ وَجَلَّ الفِدَائِيُّ وَالمُفْتَـدَىٰ

فِلَسْطِينُ تَحْمِيكِ مِنَّا الصُّـدُورُ فَإِمَّا الحَيَاةُ وَإِمَّـا الرَّدَىٰ (١)

---

١) الديوان الهيئة العامة لقصور الثقافة المجلد الثانى صـ ١٧٤ ، ١٧٥

الفصل الأول

بعنوان شعر على محمود طه فى الأعلام

المبحث الأول

مَدْح على محمود طه للأعلام

بين يدي الفصل

الشاعر على محمود طه ملء السمع والبصر- طرق جميع أغراض الشعر وهو وإن أنتسب إلى المدرسة الرومانسية فى بوتقة جماعة " أبولو "إلا أنه كان كلاسيكيا فى كثير من تجاربه و نظم معظم شعره على مذهب المدرسة الكلاسيكية وقد تحقق ذلك فى قصائده فى الأعلام فقد حفل ديوانه بقصائد شتى تناولت أعلام عصره وسابقيه جاءت فى الثوب الكلاسيكى ، وهو بهذا يرد على من ظن أن على محمود طه قد حصر- حياته وشعره فى المرأة والخمر وإن كان من زعم ذلك له بعض العذر لأن على محمود طه صرح بذلك حيث قال :-

فقالت: ما حياتُكَ؟ قلتُ: حُلْمٌ من الأشواقِ أوثرُ أن أُطيلَه

حياتي قِصَّةٌ بدأتْ بكأسٍ لها غنَّيتُ، وامرأةٍ جميلَهْ!!

إلا أننى وبعد معايشتى لعلى محمود طه من خلال دواوينة وتجاربه الشعرية وجدت انه نظم في الأعلام قصائد عدة إن دل ذلك على شىء إنما يدل على أن على محمود قد تفاعل مع أحداث وطنه لأنه لم يقتصر- على أعلام وطنه مصر بل وطنه العربى وقد يتخطاه لأنه يمجد الفضيلة أينما حلت أو ارتحلت فنراه يمجد بعض الأعلام الغربيين لما قاموا به من جليل الأعمال وسنرى ذلك جليا في طيات البحث .

إذن هو شاعر يمجد الفضيلة ويمجد أصحابها فهو كما عُهد عنه وفىٌ لأهل الفضل مولعٌ بالنابهين منهم يكسوهم بالمدائح أحياء ، ويبلل ثراهم بالدموع راحلين ، فإكبار البطولة فى شتى ميادينها العلمية و السياسية والإجتماعية والفنية خلقٌ كريم يرتفع بصاحبه ، فإذا كان من بين هؤلاء أصدقاؤه ونظراؤه فلك أن تلمس وفاء القلب وسماحة النفس وروعة الإنصاف .

والشاعر على محمود طه شاعر مبدع حلق فى كل الأجواء ، وأبدع فى كل أغراض الشعر المختلفة من مدح ورثاء ، ووصف وغزل وتاريخ واجتماع.

- وإن كان الشاعر قد مدح فلم يقتصر- مدحه على الملوك والأمراء فحسب ، بل مدح أعلام كل مجال سواء كانوا ساسة ، أم رجال علم ، أم رجال أدب ، أم رجال دين ، أم أعلام الصحافة ، ومدحه فى مجمله كان إعلاءاً للفضيلة وليس من أجل عطاء أو هبة فكلهم لايعطى ، إذن هو مدح من أجل تخليد مُثل عليا يجب أن تخلد وكذلك رثاهم.

تصوير بطولة عبدالكريم الخطابى

فى قصيدة بطل الريف

١ - كلمة عن عبدالكريم الخطابى (١) : -

بدأ الشاعر قصيدة بالحديث عن الحرب وآلاتها ، مع أن المستعمر نادىٰ بالسلم لكنه لاعهد له ولا ميثاق فالحرية والمجد لن تنال إلا بعد مشقة وجهد وركوب الأخطار ومعاناة الأهوال ، واحتمال المشاق ، فالحرية والاستقلال كائنة فوق صهوة الخيل وفىٰ أسنة الرماح .

يقول الشاعر فىٰ مطلع القصيدة :-

لا السيفُ قَرَّ ولا المحارِبُ عادَا ... وَيْحَ البشيرِ! بأيِّ سلْمٍ نادَىٰ؟

الأرضُ من أجسادِ من قُتِلوا بها ... تَجْنِي العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا

فاض السحابُ لها دَمًا — مُذْ شَيَّعت ... شمسَ النهارِ — فخالطتْهُ سَوادَا

رأتِ الحِدادَ به علىٰ أحيائها ... أتُراهمو صَبَغوا السماءَ حِدادَا؟ (٢)

والمستعمر كان يجهز علىٰ كل ثورة في مهدها من خلا قتل أو أسر أبطالها فهم شموس ونجوم بهم تضاء طرق الحرية والإستقلال وأنىٰ لهم ذلك والخطابىٰ كان النجم اللامع في سماءالحرية والإستقلال فهو سليل الأبطال من أبناء العروبة البواسل في كل عصر ومصر ، وهم بعلمهم ورقيهم وأسلحتهم لم يستطيعوا اسكات صوته أو اخماد عزيمته لأنه بطل وصاحب عقيدة ومبدأ يصور الشاعر ذلك فيقول :-

وَدَّ الطُّغاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكبٍ ... لو أطفئُوهُ وأسقطوهُ رَمَادَا

وتخوَّفُوا وَمْضَ الشهابِ إذا هَوَىٰ ... وَبُروقَ كلِّ غمامةٍ تتهادَىٰ

وَلَوَ انَّهم وَصَلُوا السماءَ بعِلْمِهِم ... ضَرَبوا علىٰ آفاقها الأَسْدَادَا

لولا لوامِعُ من نُهَىٰ وَبَصائرٍ ... تَغْزُو كُهوفًا أو تَؤُمُّ وهادَا

---

١) ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي في بلدة أجدير بالمغرب الأقصىٰ سنة ١٣٠٠هـ ١٨٢٢ م نشأ في أسرة كريمة تحت كنف والده الذي كان يتزعم قبيلة بني وريا غل. تلقىٰ تعليمه في جامعة القرويين؛ حيث درس العلوم الشرعية واللغوية ، تولىٰ منصب القضاء الشرعي في مدينة مليلة ، وقاد ثورة الريف ضد الإسبان. حقق انتصارًا عسكريًّا هائلاً علىٰ الإسبان في معركة أنوال سنة ١٩٢١م ، أقام جمهورية الريف، ووضع لها دستورًا، وأسس لها جمعية وطنية ، اجتمعت فرنسا وإسبانيا علىٰ حربه، وتمكنا من هزيمة قواته. اضطر الأمير عبد الكريم الخطابي إلىٰ الاستسلام للقوات الفرنسية.

٢) ديوان علىٰ محمود طه — مكتبة جزيرة الورد صـ ٤٢٦ : ٤٢٨

لم يَرْقَ عقْلٌ أو تَرِقَّ سريرةٌ وقضىٰ الوجودُ ضلالةً وفسادَا

راعَ الطُّغاةَ شُعَاعُهُ فتساءَلوا مَنْ نَصَّ هذا الكَوْكَبَ الوَقَّادَا؟

إنْ تَجْهَلوا فسَلُوا به آباءَكُم أَيَّامَ شَعَّ عدالةً ورِغادَا

هل أبصروا حُرِّيَّةً إلَّا بهِ أو شيَّدوا لحضارةٍ أَوْتادَا

حَمَلَتْ سَناهُ لهم يَدٌ عربيَّةٌ تبني الشعوبَ وتنسجُ الآبادَا

هي أُمَّةٌ بالأمس شادتْ دَوْلةً لا تعرفُ العُبْدانَ والأسيادَا

جُرْتُمْ عليها ظالمين بَعدِّكم وعَدِيدِكم تتخايلون عَتَادَا

ومَنَعْتُموها من مواهب أَرْضِها ماءً بهِ تجدُ الحياةَ وَزَادَا

وبعد أن تحدث الشاعر عن أبطال العرب وتاريخهم وأنهم لا يثنيهم عن عقيدتهم وحريتهم أحد ، أخذ في التحدث عن أحد أبطال العروبة في العصر الحديث وهو ابن المغرب وفتاها ذلك البطل الريفي الذي كافح الإستعمار وصاول المستعبد بقوة الإيمان وحد السيف إنه البطل المغربي (عبدالكريم الخطابي) إذ يقول :-

في المغرب الأقصىٰ فتًى من نورِها قَدَحَتْ به كفُّ السماءِ زِنادَا

سَلَّتْهُ سيفًا كي يحرِّرَ قَوْمَهُ وَيَزِيلَ عن أوطانهِ استعبادَا

ما بالُكم ضِقْتُم بهِ وحَشَدْتُمُ من دونهِ الأسيافَ والأجنادَا

أَشْعَلْتُموها ثورةً دَمَوَيَّةً لا تعرفون لنارِها إخمادَا

حتىٰ إذا أَوْهَىٰ القتالُ جِلَادَكم ومضىٰ أَشَدَّ بسالةً وجِلادَا

جئْتُمْ إليهِ تُهادِنون سُيوفَهُ وسيوفُهُ لم تسكُنِ الأغمادَا

وكتبتمو عهدًا — بحَدِّ سيوفكم— مَزَّقْتُمُوهُ ولم يجِفَّ مِدادَا

والبطل قد أسرته فرنسا عشرين عاما في مدينة (دنويون) وهي جزيرة نائية في المحيط الهندي وفي تلك الجزيرة عاش الأمير المجاهد مع بعض أسرته وبعض أتباعه عشرين عاما قضاها في الصلاة وقراءة القرآن ، وفشلت كل محاولاته لأن يرحل إلى أي دولة عربية أو إسلامية وفي سنة "١٩٤٧ م" قررت فرنسا نقله إليها على متن سفينة ، فلما وصل إلى ميناء بورسعيد تمكن بعض شباب المغرب المقيمين في مصر من زيارته ورجوه أن يتقدم بطلب اللجوء إلى مصر ليواصل مسيرة الجهاد من أجل تحرير المغرب ، فوافق على ذلك شريطة أن توافق

الحكومة المصرية على طلبه ، وتمت الموافقة على طلبه ، على الرغم من احتجاج السفير الفرنسى فى مصر ، وبدأ الخطابى عهدا جديدا من النضال الوطنى من أجل تحرير بلاده ، وأسس مع أبناء المغرب العربى لجنة أطلقوا عليها " لجنة تحرير المغرب العربى " تولى هو رئاستها فى التاسع من شهر ديسمبر عام ١٩٤٧ م .

ويصور ذلك " على محمود طه " فيقول :-

الأَهْلُ أَهْلُك، يا أميرُ، كما تَرَى ... والدَّارُ دارُكَ قُبَّةً وعِمَادَا

أَنَّى نَزَلْت بمصرَ أو جاراتِها ... جئْتَ العُروبةَ أُمَّةً وبِلادَا

مَدَّتْ يدَيْها، واحْتَوَتْكَ بصدرها ... أُمٌّ يَضُمُّ حنانُها الأولادَا

ولو استطاعت رَدَّ ما اسْتَوْدَعْتَهَا ... رَدَّتْ عليك المَهْدَ والميلادَا

وَأَتَتْكَ بالذِّكَرِ الخوالدِ طاقةً ... كأَجَلِّ ما جمعَ المحبُّ وهادَى

ماذا لَقِيتَ من الزمان بصخرة ... قاسَيْتَ فيها غُرْبَةً ووِحادَا

وَبَلَوْتَ من صَلَفِ الطُّغاةِ وعَسْفِهم ... فيها الليالي والسنين شِدَادَا

جعلوا البحارَ، ومثلُهُنَّ جبالُها، ... سَدًّا عليك وأَوسعوك بِعادَا

ويواصل الشاعر فى ذكر مآثر الخطابى ومافعله بالمستعمر الغاشم ومافعلوه هم ليثنوه عن عزمه فقد عاش عشرين عاماً رهين الأسر وأذاقوه ألوان العسف والظلم ، ولاقى صعابا وسنين شداداً ، فقد سدوا عليه كل المنافذ من البحار وكذلك الأجواء والجبال وأوسعوه نفياً وبعداً ومع ذلك يقول الشاعر أنك لم تكل ولم تمل فقد سخرت من أحلامهم وأضعت آمالهم ، وقد أطرت النوم من عيونهم على مدار عشرين عاماً فلم تغمض لهم عين ، ولم يهنؤوا بنوم أو رقاد ، بل جعلتهم فى حيرة من أمرهم يصور ذلك الشاعر فيقول :-

دَعْهُم! فأنتَ سَخِرْتَ من أحلامهم ... وأَطَرْتَهُنَّ مع الرياحِ بِدادَا

عشرين عامًا، قد حَرَمْتَ عيونَهم ... غُمْضَ الجفونِ، فما عَرَفْنَ رُقادَا

يَتَلَفَّتُون وراءَ كلِّ جزيرةٍ ... ويسائلون الموجَ والأَطوادا

من أيِّ وادٍ ... موجةٌ هتَفتْ بهِ ... ومضى، فحمَّلَها السلامَ، وعادا

ثم يمضي الشاعر في تعداد مثالب المستعمر ومناقب البطل ، فهم لو أنصفوا لقدروا بطولته وخلدوا ذكره وأمجاده فلقد كان بطلا وقائد مسموع النداء يلبيه كل حد ماجد فضحوا معه بالمهج والأرواح استشهادا في سبيل حرية أوطانهم والخلاص من براثن الإستعمار ويصور ذلك فيقول :-

لو أنصفوا قَدَرُوا بطولَة فارسٍ لبلادِهِ بدَم الحُشاشة جادا

نادَى بأحرار الرجال فقرَّبوا مُهَجًا تموتُ وراءَه استشهادَا

يدعو لحقٍّ أو لإنسانيَّةٍ تأبى السجونَ وتَلْعَنُ الأَصفادا

ثم يتوجه الشاعر بالنداء لذلك البطل " الخطابي " مناديا إياه " شيخ الفوارس " قائلاً يكفيك أن ترى عينك الفتوح والأمجاد بعد طول جهاد وقد تحققت ، فالريف قد لبى وهب لندائك ملبيا منازلاً وقائلاً ، يهتف باسمك فأنت الباسل الزواد عن حياضه ووطنه ، ولقد أبدع الشاعر حين جعل السيف هو من يحن إلى قبضة الخطابي وكذلك الخيل تحمحم تتمنى أن تقرب من يديك لتقودها وتخوض بها المعارك مقبلة غير مدبرة ، وعلى الصحارى والجبال قد أبليت البلاء الحسن فتركت صدى الملاحم تشجى النسور وتطرب الأسد ، وكنت قائداً بحق فحروبك وملاحمك أوحت إلى العرب وفرسانهم الإنشاد في الحروب واستعذاب العذاب في سبيل تحرير الأوطان .

يصور ذلك فيقول :-

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى هذي الفتوحَ وهذه الأَمجادا

"الرِّيفُ" هَبَّ منازلًا وقبائلًا يدعو فتاهُ الباسلَ الذَّوَّادا

حَنَّ الحُسَامَ لقَبْضَتَيْكَ، وحَمْحَمَتْ خيلٌ تُقَرِّبُ من يديك قِيادا

وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلَاحِمٌ تُشْجِي النُّسورَ وتُطْرِبُ الآسادَا

أَوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُدَاءَ، وَأَلْهَمَتْ فُرسانهم تحت الوغى الإنشادا

ثم يتوجه الشاعر بالخطاب إلى البطل هاتفاً باسمه تمجيداً وتعظيماً وتوداداً وتقرباً لجميل جهاده وكفاحه طالباً منه أن ينظر حوله في كل إتجاه مقرراً حقيقة هي بطولة الشعوب العربية قائلا له إنظر في كل إتجاه فإنك لن ترى إلا صراعا قائماً وجهاداً ، فلقد أصبح الشرق كله لواءاً واحداً وجيشاً واحداً ولحمة واحدة في سبيل تحرير الوطن فالسيوف أصبحت ناطقة تجيب على كل سائل والشعوب تهتف حتى أن حلوقها من شدة الهتاف وكثرته

قد سالت دماؤها ومع ذلك لم تهز وساداً صغ أنت البيان وكرر النداء للحرب يجد معهم إلا السيوف فوعودهم خداع وليس أصدق من إعمال السيف فيهم .

يصور الشاعر ذلك فيقول:-

عبدَ الكريم انْظُرْ حِيالك هل ترىٰ ... إلَّا صراعًا قائمًا وجهادا

الشرق أَجْمَعُهُ لواءٌ واحدٌ ... نَظَمَ الصفوفَ وهيَّأَ القُوَّادا

لم يتركِ السيفُ الجوابَ لسائلٍ ... أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ ميعادا

سالت حلوقُ الهاتفين دمًا، وما ... هزُّوا لطاغية الشعوب وِسادا

فصُغِ البيانَ بِه، وأَنْطِقْ حَدَّهُ ... يَسْمَعْ إليكَ، مكَرَّرًا ومُعادَا

كَذَبَتْ مودَّاتُ الشِّفاه ولم أجِدْ ... رغم العداوة كالسيوف وِدادا

ثم يتابع الشاعر فىٰ ذكر حميد خصاله وبطولاته فلم يكن حديثه قاصراً علىٰ الشعراء بل تعداهم لىٰ الشعوب ، فلقد لهجت القلوب بما صنعت يداك فكم شدت ضماداً علىٰ جراح المسلمين ، فالخطابىٰ حملت يداه كرم الملوك ، وبه نخوة وشهامة تعدل أمة بأثرها ، ولقد صنعت بهذه النخوة وهذا الكرم شرف أمة عال ومنيع ، هذه الأمة ما كان منها إلا أن ردت الجميل بالجميل حينما استقبلتك الشعوب فىٰ مصر- وحمت منك عزيز وحراً لا يهدأ ولا يقر له بال أو حال فىٰ سبيل تحرير الأوطان ، فكم قاسيت الظلم والأسر والإبعاد ، وهو قد فدىٰ أوطانه فهو المجاهد الأعز البطل ، كم نازعت الآلام فؤاده ، وجارت عليه الحروب فكان بطلاً لا يستسلم ، وفىٰ السلم قد آويت رجالاً وصغاراً زغبا مثل أفراخ القطا وكذلك حرائر لم يذقن للنوم طعما فكان نومهن سهادا ، يصور ذلك الشاعر فيقول:-

لَهَجَتْ قلوبٌ بالذي صَنَعَتْ يدٌ ... شَدَّتْ لِجُرْحِ المسلمين ضِمادا

حَمَلَتْ نَدَىٰ مَلِكٍ، ونَخْوَةَ أُمَّةٍ ... صانت بها شرفًا أشَمَّ تِلَادا

وحَمَتْ عزيزًا لا يقَرُّ، وأَمَّنَتْ ... حُرًّا يقاسي الجورَ والإبعادا

فادٍ من الغُرِّ الكُماةِ مجاهدٌ ... تتنازعُ الآلامُ منه فؤادا

جارت عليه الحربُ ثم تعقَّبَتْ ... في السِّلْمِ تحت جَنَاحِهِ أكبادا

زُغْبٌ صِغارٌ مثل أفراخ القَطَا ... وحرائرٌ بِتْنَ السنين سُهَادا

ويختم الشاعر قصيدته بالحديث عن ذلكم البطل الذى لم يهنأ له بال ولم يقر له جفن فهو من الجبال الرواسى الذى يسعى لمجد أمته ، ولقد أبدع الشاعر عندما أسند الرواسى إلى المجد فقال " هو من رواسى المجد " ولكن عصفت أحداث الزمان به فلان جانبه ، وهو رجل بكل ما تحمله من شحنات إيجابية ومعانى سامقة حيث إنه رأى الشر قد أحدق بأمته ، فهب من ثباته يفدى الأرض والعرض ، وأحس باعتداء المستعمر الغاشم ، وهو محب لأوطانه عاشق لها كل ذنبه أنه أحب بلاده وما هو بذنب إذ أحبها ففداها .

يصور ذلك فيقول :-

هو من رواسِي المجد إلَّا أنهُ عَصَفَ الزمانُ بِجانبَيْهِ فمادا

رَجُلٌ رأَى شرًّا، ففادَى قَوْمَهُ وأَحَسَّ عاديَةً، فهَبَّ، ورادَى

ظلموا هواهُ إذْ أحبَّ بلادَهُ ما كان ذنبًا أَنْ أحبَّ ففادَى!

التعليق العام على قصيدة بطل الريف

قال الشاعر هذه القصيدة عندما أتاح الله للخطابى فرصة النزول لبورسعيد من السفينة وهى فى طريقها به إلى منفى جديد بفرنسا ، وعمت الفرحة أرجاء الشرق لنجاة هذا البطل العظيم وعودته إلى حياة الحرية وانضم إلى صفوف اخوانه المجاهدين عن كرامة العرب ومجد المسلمين ، وابت مصر- شعباً وملكاً وحكومة أن تعيده إلى أسر فرنسا وقهرها رغم التهديد والوعيد ، ووقف العالم العربى أجمع وراء مصر- الأبية ، وبذلك أنقذت النخوة العربية أحد ابطالها الذين كافحوا الاستعمار وعمت الفرحة وقال الشاعر هذه القصيدة بهذه المناسبة :-

لا السيفُ قَرَّ ولا المحارِبُ عادَا وَيْحَ البشيرِ! بأيِّ سلْمٍ نادَى؟

فعبر الشاعر بهذه القصيدة عن فرحته بمقدم البطل عبدالكريم الخطابى إلى مصر- وتحدث عن بطولاته وقيادته للثورات فى بلاده وما فعله فى المستعمر الغاشم فهو سليل الأبطال من أبناء العروبة البواسل فى كل عصر ومصر ، والمستعمر بعلمه وأسلحته لم يستطع اسكات صوته أو اخماد عزيمته لأنه بطل صاحب عقيدة ، والبطل قد أسرته فرنسا عشرين عاماً فى جزيرة نائية فى المحيط الهندى ، وفى تلك الجزيرة عاش الأمير المجاهد عشرين عاماً مع اسرته وبعض أتباعه ، وبهذا يكون الجو العام للقصيدة جو فرح وسعادة لنجاة البطل وعودته إلى وطنه .

فى هذه القصيدة ظهر الصدق الشعرى والصدق الشعورى حيث أن ألفاظه وأساليبه وأفكاره تتناسب مع جو الفرح وتمجيد البطولة وقد اتحد الموضوع فى القصيدة وتتابعت المعانى والأفكار فى تسلسل طبيعى وجاءت تراكيبه متآلفه وصوره متنوعه وقد اختار الشاعر لقصيدته بحر " الرجز " التام والذى يعبر عنه :-

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

واختار لها قافية جعل رويها حرف الدال وبعدها حرف المد مما يعمل على اثراء الموسيقى المتمثلة فى الوزن والقافية وكذلك اختياره لألفاظه وأساليبه وتراكيبه وحروفه وتنوعها من حيث الهمس والجهر عمل على اثراء الموسيقى الداخلية ، وتعددت صور البطولة فى القصيدة والعاطفة كانت من النوع المشرق الذى لا قتامة فيه ولا غيوم .

تصوير بطولة مفتى فلسطين الأكبر
أمين الحسينى فى قصيدة " من الأعماق "

فى مساء يوم الخميس الموافق العشرين من شهر يونيه سنة "١٩٤٦ م" فوجئت مصر والعالم العربى مفاجأة سارة بظهور المجاهد العظيم كمفتى فلسطين الأكبر السيد " أمين الحسينى " (١) فى قصر عابدين لاجئاً إلى مصر بعد خروجه خفية من باريس بنحو أسبوعين ، وقد أمنه الملك فاروق على حياته وأكرم وفادته ، ومنحه حرية البقاء فى مصر وطن الأحرار وملاذ المجاهدين عرباً ومسلمين ، وقد هز هذا الخبر أقطار العالم وخاصة إنجلترا وأقطاب السياسة بها الذين أبوا على هذا البطل الكريم مقامه فى وطنه فلسطين وهددوه فى حياته ، فعاش سنين الحرب طريداً وأقام فى بلاد أوروبا الوسطى بين إيطاليا وألمانيا ولكن قرار فاروق بحمايته فى مصر قد أخرست الألسنة وحسمت كل لجاج ، ورأوا من خلالها النخوة العربية فى مثلها الأعلى يدين بها ملوك العرب مثل شعوبها ، وأنها فى حياتهم جميعا مثلما كانت فى حياة آبائهم الأولين .

والشاعر "على محمود طه" كما عهدنا يعمل على الإعلام من القيم الجمالية ورسالته الشعرية تقوم على الإنسان ، الحرية – السلام .

وكما رحب على محمود طه "بالخطابى" ومقدمه إلى مصر نراه كعادته يرحب ويهلل بمقدم أمين الحسينى مفتى فلسطين وبطلها المجاهد ضد الإنتداب البريطانى ، وكذلك ضد اليهود إلا أنه فى ترحابه به قد استفضى حالات الإنسان فى كل حال فهو يستقبله بالتحايا ليس منه فقط بل من الشرق وأجمع فيآماله ، وكذلك استقبلته بالترحاب العروبة والإسلام ، حقاً إن" على محمود طه " شاعر يمجد الفضيلة أينما حلت وحيثما ارتحلت ليست الفضيلة المصرية فحسب ولا العربية فحسب ولا الإسلامية فحسب بل فى كل ربوع الدنيا فهو يمجد الفضائل فى الإنسانية ، فلقد كان جهاد "أمين الحسينى" صفحة مشرقة فى جبين الأمة الإسلامية هذا الجهاد وهذه الذكريات تهفو إلى معانقة ذلك البطل العائد من منفاه إلى بلد هو

---

١) هو الحاج محمد أمين بن الشيخ طاهر الحسيني، ولد في القدس عام ١٨٩٥ .كان مفتى فلسطين بين عامي (١٩٢١-١٩٤٨)، ورئيسا للمجلس الأعلى الإسلامي (١٩٢٢-١٩٣٧)، وهو ابن لأسرة ميسورة، عرف عن والده اهتمامه بالتعليم، فقد تلقى تعليمه بداية في القدس، وتلقى تعليمه الخاص على يد عدد من العلماء والأدباء، كما التحق بكلية الفرير في القدس لتعلم اللغة الفرنسية، ثم التحق بالجامع الأزهر في القاهرة، وأدى خلال فترة دراسته فريضة الحج، فلازمته صفة "الحاج" طوال حياته ، كان لدراسته في مصر انعكاسا بالغا على اهتماماته السياسية، لما نسجه من علاقات مع قادة الحركة الوطنية في مصر آنذاك، فقرر الالتحاق في عام ١٩١٥ بالكلية الحربية با سطنبول، وتخرج منها ضابطا ،التحق الحاج أمين الحسيني بصفوف الجيش العثماني لفترة وجيزة، ثم انتقل للعمل سرا منضما إلى الثورة العربية الكبرى، من خلال لواء القدس والخليل، ثم انضم إلى جيش الشريف حسين بن علي، سعيا الى تحقيق حلم إقامة دولة عربية مستقلة إبان الحرب العالمية الأولى. في أعقاب صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ قرر الحاج أمين الحسيني العودة إلى القدس، لخوض الكفاح والنضال ضد وجود اليهود والبريطانيين في فلسطين.

مأوىٰ لكل حر أبىٰ تعزه وتجله وتكرمه لأنها مصر فكل من يستجير بها يطيب عيشه ويرق ماؤه وتكفل له الحرية فىٰ أعلىٰ مجاليها.

يصور ذلك فيقول :-

حَيَّتْكَ في الشرق آمالٌ وأحلامُ وقبَّلتْكَ جراحاتٌ وآلامُ

واستقبلتك علىٰ الوادي وضِفَّتِهِ عروبةٌ وَثَبَتْ فَرْحَىٰ وإسلامُ

وحِقْبةٌ من جهادٍ أشرقتْ وهَفَتْ بها ليالٍ من الذكرىٰ وأيامُ

تعانق العائدَ المنفيَّ في بلدٍ حِماهُ للحرِّ إعزازٌ وإكرامُ

ديارُ «فاروقَ» من يلجأْ لساحتها فقد حَمَتْهُ من الأحداث آجامُ

يطيب للعربيِّ المستجيرِ بها معاشُهُ ويرقُّ الماءُ والجامُ

ويحطم القلمُ العاني بحومتها أصفادَهُ، ويفكُّ القيدَ ضرغامُ (١)

ثم يتوجه بالخطاب إلىٰ البطل المجاهد واصفاً إياه بالصنديد قائلاً بأنكم جئتم بما جاء به الأبطال الأقدمون وحويت كل فضيلة تحدث عنها الدهر وبمقدمك هزت فلسطين أنباء مقدمك ففرحت الأرض والسماء والليل والنهار كل منها أصبح بساما ، فقد عادت لها وذكريات الأمس ، وأشرقت فيها صحائف المجد وأقلام من نور تسطر بطولات لاتنتهىٰ ما بين صوت سيف أو رنة رمح وصوتك الجهور الذىٰ كان يشبه الأنغام آذان الأحرار الذىٰ أقسمت به أن لا ينال الدار مغتصب حتىٰ وإن إمتلأت بالنار جبال ووديان ، وقد وهبت دمك من أجل الله والحق والإسلام وكذلك كل جرح أو اصابة يصور ذلك فيقول :-

يا أيها البطل الصنديدُ جِئْتَ بما تحدثتْ عنه أدهارٌ وأقوامُ

هَزَّتْ «فلسطينَ» أنباءٌ يطير بها برقٌ علىٰ جنباتِ الليل بسَّامُ

عادتْ لها ذكرياتُ الأمس وانبعثتْ بها صحائفُ من نور وأقلامُ

وأنفُسٌ قرشيَّاتٌ يُطرِّبُها صوتٌ يرنُّ به رمحٌ وصمصامُ

نَصَّتْ علىٰ الليل آذانًا تُغازلها من صوتك الجهورِيِّ العذب أنغامُ

قد أقسمتْ لا ينال الدارَ مغتصبٌ حَتَّىٰ وإنْ شَرِقَتْ بالنار أعلامُ

---

١) ديوان علىٰ محمود طه ، طبعة جزيرة الورد صـ ٤٠٥ : ٤٠٧ .

في الله، في الحقِّ، في الإسلام كلُّ دمٍ يسيل فيها، وجُرْحٍ ليس يلتامُ

ثم يتابع الحديث عن نظرة الغرب المستعمر إلى العرب حيث أنهم بإقصائهم للبطل عن وطنه ظنوا أن العرب يغطون في ثبات ونوم عميق لاتقوم لهم قائمة، ولكن الشاعر يستفهم متعجباً فيقول :- كيف ! وهل في ربوع القدس نوام !

والشاعر يقرر حقيقة وواقعا للمستعمر فهذه أطماعهم في كل أرض مستعمرة وسيوفهم تعلو الرؤوس ، وقد كانوا اتهموا البطل "أيمن الحسيني " بأنه غادر خائن ، والشاعر يستهجن زعمهم هل من يدافع عن الأرض والعرض خائن غادر؟

إنه منطق مجاف للحقيقة ثم يوجه الخطاب للبطل " أيمن الحسيني " أفي دفاعك عن أهلك ووطنك غدر وخيانة ؟

من هنا فجهاد الظلم إجرام !

يصور ذلك الشاعر فيقول :-

ظنُّوكَ أُقْصِيتَ عنها فهي نائمةٌ وكيف! هل في ربوع القدس نُوَّامُ!

وتلك أطماعهم في كلِّ ناحية السيفُ منهنَّ فوق الخلق قَوَّامُ

قالوا: غدرتَ ولم أفهمْ لمنطقهم حُكمًا، ولكنما للقوم أحكامُ

أفي دفاعكَ عن أهلٍ وعن وطنٍ غدرٌ؟ إذنْ فجهادُ الظلم إجرامُ!

ثم يتابع الحديث عن المستعمر وأفكاره الباطلة لأنهم يقولون إنهم ماجاؤوا إلا لنصرة الحق ولكن بزعمهم كم أذاقوا أصحاب الحق من بؤس وهوان وساموهم الخسف والإرهاق يصور ذلك فيقول :-

قالوا: هو الحقُّ ما نسعى لنُصْرتِه يا بُؤْسَهُ كم هوانٍ أهْلَهُ ساموا

ثم يتوجه الشاعر بالخطاب إلى الشرق ولايفوتنا تكرار كلمة الشرق إذ يفيد التكرار التجذير من خداعه ووعودهم الكاذبة ، فيوصي الشرق وأهله ألايعاهدهم ولا يضع في أيديهم يداً ، فحديثهم ما هو إلا محض أوهام وافتراء ، فهم ماجاؤوا إلا لابتلاع خيراتك ونفطك وغازك وعيون الزيت وأنابيبه وخطوطه الدافقة وقدنهبوها ظلماً وقهراً ، وقد قسموا أرضك مطارات وماعملو هذا إلا استعداداً لحروب ضارية وما الشرق إلا فداءاً في غير تضحية إن هاجموه بأسرابهم وطائراتهم يصور ذلك فيقول :-

يا شرقُ يا شرقُ لا تخدعْكَ دعوتُهم واقبض يدًا، فحديثُ الحقِّ أوهامُ

أكان غيرَ عيونِ الزَّيتِ دافقةً من قلبكَ الغضِّ يُجريهن سجَّامُ

وكان غير أنابيبٍ يحوط بها ضلوعَ صدركَ قهَّارٌ وظلَّامُ

قد قسَّموكَ مطاراتٍ وما عملوا إلَّا لحربٍ لها في الكون إضرامُ

أكُنْتَ غيرَ الفِدا في غير تضحيةٍ إن همَّ عليكَ بسربٍ للرَّدى حاموا

والشاعر يوالي تحذيراته للشرق ويعطيه النصائح قائلا لهم إسألوا " الحسيني "عن ما صنعوه ، واصغ إلى قوله الحق ، فلا يخدعك أهل الهدم، وسلهم عن العهود والمواثيق التي أطلقوا عليها مواثيق الشرف ووعودهم بها فكم غدروا بها وكم اقترفوا باسم السلم آثام ، يصور ذلك فيقول :-

يا شرقُ سَلْ «بالحسينيِّ» الذي صنعوا واسمعْ لحقِّكَ، لا يَخْدَعْكَ هدَّامُ

سلْهمْ عن الشَّرف الموعود كم غدروا به؟ كم اجْتُرِحَتْ في السلم آثامُ

وفي نهاية القصيدة نجده يتوجه بالحديث إلى البطل "الحسيني" فيقول وأنت ياأيها البطل الذي أفدى عروبته أفديك بنفسي ويدعو له بالسلامة وهذا حق لا غبن فيه ولا كذب فأنت في جهادك على حق وأنت مظلوم ومغترب هذا الجهاد في كل حالاتك وحيٌّ وإلهام لكل فتى عربي حر ، يصور ذلك فيقول :-

وأنت يا أيُّها الفادي عُرُوبَتَهُ اِسلَمْ فديتكَ، لا غَبنٌ ولا ذامُ

جهادك الحقُّ مظلومًا ومغتربًا وَحْيٌ لكلِّ فتًى حُرٍّ وإلهامُ

التعليق العام على قصيدة "من الأعماق"

في مساء يوم الخميس الموافق ٢٠ يونيه سنة ١٩٤٦ م فوجئت مصر والعالم العربي قاطبة مفاجأة سارة بظهور المجاهد الإسلامي العظيم ، مفتي فلسطين الأكبر السيد "أمين الحسيني" في قصر عابدين العامر ، لاجئاً إلى ساحة البيت العلوي بعد خروجه خفية من باريس بنحو أسبوعين ، وقد أمنه الفاروق على حياته ، وأكرم وفادته ، ومنح سماحته حرية البقاء في مصر ، وطن الأحرار ، وملاذ المجاهدين من أبناء العروبة .

والشاعر في هذه القصيدة يصور فرحة الوطن العربي والعروبة بعودة البطل " أمين الحسيني " ، كما يصور فزع أقطاب السياسة في بلاد الغرب وخاصة في انجلترا الذين نفوه عن وطنه أبوا إقامته فيه ، وما كان من الملك فاروق إلا أن أمَّنه كعادته مع من يستجير به وخاصة من أبطال العروبة ، ففاروق وشعب مصر يجيروا من يستجير بهم وخاصة ابطال العروبة والإسلام .

وهذه القصيدة يتحدث فيها الشاعر عن استقبال مصر له فهي ديار إكرام وحرية ، ثم يتحدث عن مواقف لهذا البطل هزت فلسطين ، فبعودته عادت ذكريات الأمس ، وأقسم أهلها ألا ينال منها مغتصب ، ثم تحدث عن أطماع الغرب في بلاد الشرق وتقسيمهم له من أجل عيون البترول والثروات .

والشاعر في هذه القصيدة ، مع تعدد أفكارها ومحاورها إلا أنها متراطبة متماسكة متحدة الموضوع ، وهي تجربة شعرية صادقة ، وعاطفة الشاعر مشرقة لأنه فرح منبهج بمقدم البطل "أمين الحسيني" ، وكذلك تحققت فيها الوحدة الفنية تبعاً لتحقق الوحدة النفسية .

أما عن الصورة الشعرية ، فلقد شاعت فيها الصور المتقابلة ، كما جاءت صور مشتملة على عناصر الحركة – الهيئة – اللون ، ولم تخل القصيدة من التجسيد والتشخيص للمعنويات .

أما عن الموسيقى في القصيدة فقد اختار لها بحر " البسيط " التام يعبر عنه :-

مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن

عروضه مخبونه والضرب مخبون كذلك ، وقد اختار لها قافية رويها الميم المضمومة بعد مدٍّ وكأنه يزفر زفرة طويلة تنفض عن آلامه بعد طول صراع

تصوير بطولة فوزي القاوقجى
فى قصيدة "عـودة المحارب"

بعـد أكثـر مـن عشـرين عامـاً قضـاها بطـل العروبـة " فـوزى القـاوجى " (١) بـين تخـوم سـوريا وفلسـطين والعـراق وباديـة الحجـاز ، مغـترب الـديار ، مهـدور الـدم يصـاول بحـد السـيف كتائـب المسـتعمرين مـن الإنجليـز والفرنسيين وأذنابهم مـن الصـهاينة، فى حـرب مريـرة وجهـاد طويـل ، وبعـد أن اضـطرته ظـروف الحـرب الأخـيرة إلى الهجـرة إلى أوروبـا الوسـطى ، وكتـب القـدر لـه السـلامة فأفلـت مـن أيـدى المسـتعمر الغاشـم وهـبط بالطـائرة إلى العاصمة المصرـية وهـى مملكـة آنـذاك فى طريقـه إلى وطنـه الحبيـب " سـوريا" فكانـت عودتـه مفاجئـة لـذلك كانـت حديث الشرق أجمع ، وأقيمت لـه الاحتفـالات الرائعـة فى مصرـ وسـوريا تقـديراً لمواقفـه الخالـدة فى الجهـاد ، وإعجابـاً ببطولته النادرة وقد حيا الشاعر مقدمه بهـذه القصـيدة " عـودة المحـارب "وقـد اسـتهل الشـاعر قصـيدته بالاسـتفهام التعجبى من الريح التـى تحمـل الطـائرة التـى أقلتـه إلى مصرـ قـائلاً " أتـدرى الـريح مـن ملكـت زمامـه " وقـت أن كانت تغـادر بـلاد الغـرب إلى بـلاد الشرـق لتطـوى ظـلام سـنين حالكـات مـرت عـلى هـذا البطـل فى منفـاه ، فلقـد اشتاق وتاق إلى وطنـه الأغـر ، وعنـدما قـالوا دنـا واقـترب فتزيـت وترقبـت ضـفاف النيـل السـعيد محيـاه وقدومـه ، وكذلك صـباح القـاهرة اسـتقبله وعانقـه وهـو بعـد غضـيض الطـرف لم ينتبـه مـن منامـه ، وهـذا البطـل أضـاء ورده ورجوعه الآفاق المظللة بالرعاية والسـلامة ، والسـماء عـلى أرض سـيناء قـد برقـت برقـاً أضـاء جنباتهـا فرحـاً بمقـدم البطل ، وعندما تمثل ذكريات وأمجاد شهيرة لهـذا البطـل الـذى أفـدى الـوطن بنفسـه ودمـه ومـن جـرأة البطـل خشـى الدهر أن يلقى شدته وشراسته فهو ابن الشرـق الـذى عـلى كفيـه قلـب يـرفض غـير الشـهامة والكرامـة ، وهـو البطـل الذى اشـترى الخلـد فى الـدنيا والآخـرة بحمايتـه لـتراث الشرـق ورعايـة زمامـه ، ولقـد كسـته حـوادث وغِـيَر الليـالى خشونة وجلد على الأحداث الجسام يصور ذلك الشاعر فيقول :

أتدري الريحُ من ملكتْ زمامَهْ ... تَشوُّقُ الغربَ أو تطْوي ظلامَهْ؟

هَفَتْ للشرق فاختلجتْ جناحًا ... بِه، واستقبلتْ لثمًا غمامَهْ!

---

١) فوزى القاوقجى، ضابط سورى ولد في عام ١٨٩٠ في طرابلس في لبنان، وقد درس في المدرسة الحربية في الأستانة بتركيا، وتخرج ضابطاً في سلاح الخيالة العثمانى عام ١٩١٢ .وشارك في المعارك ضد الإنجليز خلال الحرب العالمية الأولى في العراق ١٩١٤ وفلسطين ١٩١٦، لكن النقطة البارزة في حياته كانت توليه قيادة جيش الإنقاذ في فلسطين عام ١٩٤٨، ساعد الملك عبدالعزيز آل سعود في تشكيل الجيش السعودى عام ١٩٢٨ ثم انضم إلى الملك فيصل في العراق في ١٩٣٢ .تميز «القاوقجى» بشجاعته النادرة وعروبته التي دفعته لخوض المعارك ضد الاستعمار الأوروبى في مجمل المناطق العربية، فشارك في ثورة فلسطين عام ١٩٣٦، وفى العراق ساهم في ثورة رشيد عالى الكيلانى عام ١٩٤١، وفي ١ يناير ١٩٤٨ أعلن فوزي القاوقجى عن تشكيل جيش الإنقاذ الذي تولى قيادته بحرب فلسطين ١٩٤٨.

وقِيلَ: دنا وحَوَّم، فاشرأبَّتْ ضفافُ النيل تستهدي حِيامَهْ

وعانقه الصباحُ على رُباها غضيضَ الطَّرفِ لم ينفضْ منامَهْ

يضيء بورده الأزليِّ أُفقًا تُظلِّله الرعايةُ والسلامَهْ

وواكَبَهُ على «سيناءَ» برقٌ بِعينِ الملهمين رنا فشامَهْ

تَمَثَّلَ إذْ تألَّقَ ذكرياتٍ وأمجادًا مُشَهَّرَةً مُسامَهْ

لمحترِبٍ منَ الأبطال فادٍ يخاف الدهرُ أن يَلْقَى عُرامَهْ

حواريٌّ على كفَّيهِ قَلْبٌ أبَى غَيْرَ الشهامة والكرامَهْ

نَحيفٌ من شُراةِ الخلد يحمي تُراثَ الشرق أَوْ يَرْعَى ذمامَهْ

كَسَتْهُ خُشُونَةً غِيَرُ الليالي وسلَّتْ عزمه وجَلَتْ حُسامه

أَشدَّ على قواضبها مراسًا وأَنفذ من مضاربها هُمامهْ

أَقام على الفلاة طريدَ ظلمٍ وَذِيدَ، فما أطاق بِها مقامهْ

وَبايعَ في شبيبته المَنايا فعادت منه وادَّرأتْ حِمامهْ!

أَحلُّوا قتله وتطلَّبوهُ دمًا حرًّا وروحًا مستهامَهْ (١)

والقصيدة قد بلغت ستين بيتاً أو يزيد والشاعر قد تفوق وأبدع فى تصور شوق المحارب العائد تصويراً حياً فجعله محمولاً على التى أحست بما أحس به متشوق إلى بلاده فاختلجت جناحاً واستقبلت الريح الغمام باللثم والتقبيل . وكذلك لقد اشرأبت ضفاف النيل تنتظر قدومه والصباح عانقه ليس كل صباح بل صباح القاهرة العامرة ، وما أعظم البرق الذى صاحب الريح والغمام والضفاف والصباح على أرض سيناء فرحاً بمقدم البطل . وبعد هذه اللوحة التصويرية التى أبدعها الشاعر فكان رساماً بالكلمات بمعنى أنك تستطيع أن ترسم لوحة زيتية تعانقها كل العناصر فرحة متهللة بمقدم البطل ، نجد الشاعر يتحدث عن ذلك البطل وأنه قد نسى كل شىء غير الحرب فى سبيل إعلاء الأوطان فكان بحق مخلص أيما إخلاص فهو وإن كان نسى هواه من أجلها ، إلا أنه لم ينس غرامه بها ، فالبطل دائماً مُخْلصاً ذو حس مرهف يطرب لزئير الأسد وقت الشدة كما يشجيه صوت الحمام وهديله وقت السلم ، كما أنه عاشق لوثب الخيل إلى خوض الأخطار نجده مترقباً لابتسامة من فم

---

١) ديوان على محمود طه ، جزيرة الورد صـ ٤١٩ .

صبح مشرق وضاء بنور النصر ، كذلك عاش الحياة ولم تكن جل اهتمامه ولا ملأت عليه حسه وقلبه ولا عرف الملالة والسآمة ، وأخطار الموت في الحرب وإن ظهر البطل فرت من أمامه ، يصور ذلك فيقول :

تُنَسِّي الحربُ كلَّ فتًى هواهُ ولا يَنْسَى الكميُّ بِها غرامَهْ

زَئيرُ الليث يطربُ مِسْمَعَيْهِ وتُشجيهِ بِرَنَّتِها الحمامَهْ

ووثبُ الخيل أفراسُ الأمانِي إلى خَطَرٍ تعشَّقهُ ورامَهْ

يَصُفُّ البيض وَالسُّمر العوالي ويرقبُ مِن فم الصُّبح ابتسامَهْ

ويفرُك راحيته دمًا ونارًا يُغَنِّي حُبَّهُ ويُديرُ جامَهْ

كذاك رأى الحياة فمَا اجتواها ولا عرفَ الملالة والسآمَهْ

مفازعُ للرَّدَى إنْ لاح فَرَّتْ وراءَ خطاهُ وارتدَّتْ أَمامَهْ!

ثم يتوجه الشاعر إلى البطل بالخطاب متسائلاً عجباً واصفاً له بأنه أخ الهيجاء، وكيف شهد حرباً ضروساً ذات أهوال جسام يذكر هولها يوم القيامة ولا ينسى الشاعر نفسة المستعمر المليئة بالحقد والضغينة في كل حالاتها لذلك يجسد ذلك في سؤاله " كيف شهدت حرباً " وكذلك " كيف رأيت بعد الحرب سلماً مليئا بالضغينة واللؤم ، فقد مزقوا الأوطان وصارت دويلات وقالوا ما نقصد إلا تجميل العالم العربي بهذا التمزيق وهو لم يَعْدُ أن قبحوه ومزقوه فقد تناثرت الممالك حتى صارت متاهات تضل بها الليالي يصور ذلك فيقول :

أخا الهيجاءِ كيف شَهِدْتَ حَرْبًا يُذكِّرُ هولُها يومَ القيامَهْ

وكيف رأيتَ بعد الحرب سِلْمًا تَملأ بالضغينةِ واللآمه

وقالوا: عالمٌ قد جَمَّلُوهُ فلم يَعْدُ الشناعةَ والدمامَهْ

تناثرتِ الممالكُ فيهِ حتى لتعجزَ أَنْ تُبِينَ لها حطامَهْ

متاهاتٌ تضلُّ بِها الليالي ولا يدري بها فَلَكٌ نظامَهْ

- ويعد هذا التصوير المبدع لحال البطل في الحرب والسلم وحال المستعمر فيهما وما آل إليه حال الأوطان وتمزيقها لا ينسى قضية العرب الأم " فلسطين " في وسط هذا التمزيق والتشتيت فيقول : فلسطين في وسط هذا التمزيق شهيدة ضلت في ظلمته ودجاه ، ليست مفزعة الأوصال فقط بل الخواطر معاً ، قد زعم المستعمر أنه يعمل على حماها إلا أنه عاث بها فساداً وضعفاً وهزالاً ، وجاء بكل طريد شارد وجمعهم وأقام

لهم فيها وطن ، أقامه على أشلاء ودماء وجثث أهلها حتى اليوم يعبثون فيها وبأهلها فساداً وخسفاً محال أن تطيب لهم حياة عليها ، ولن تدوم إقامتهم فيها ، فهى عربياً قديماً وستظل عربية يصور ذلك فى قوله :-

فلسطينُ الشهيدةُ في دجاه ... مُفَزَّعةُ الخواطرِ مستضامَهْ

أَقام المستبدُّ على حماها ... فعاث بها وأفردها طَغامه

وجاء بآبقٍ لَفظَتْهُ دارٌ ... وأفَّاقٍ يُحمِّلُها أَثامَهْ

أباح له على كيْدٍ جَنَاها ... وشاطرهُ على خُبْثٍ مدامهْ

وعلَّمهُ الرماية واجْتباهُ ... فسدَّد في مقاتلهِ سهامهْ!

نَديمُ الأَمس سَقَّاهُ بِكأْسٍ ... أحسَّ لهيبها ورأى ضرامَهْ

رمى الشيطان عن فَخَّارتيها ... وعضَّ على نواجذه نَدامَهْ

ألا لا يمرح الباغُون فيها ... فَلَنْ يَنْسَى لها الحقُّ انتقامَهْ

مُحالٌ أن تَطيبَ لهم حياةٌ ... عليها، أو تدوم لهم إقامَهْ

عروبَتُها على الأدهار أَبْقى ... وأثبتُ من رواسخها دِعامَهْ

أتهدأ وهي في الغَمرات تأسو ... جريحًا؟ أو تشدُّ لهُ ضمامَهْ؟

ثم يتوجه بالحديث عن المفتى الأمين الذى يفتديها بروحه وراحته وراء تخومها وثغورها ، يعلن ويشكو هيامه بها وعشقه لها ولحريتها فهى لم تغب عنه ولم يفارقها حتى فى خياله وعينه أقسمت ألا تغفو ولا تنام ولا تقر حتى تحرر أوطانه فعزيمته ماضيه جسور يوحد صفوف أمته جهاد من أجل أمته وعروبته فقد ألقى له التاريخ زمامه . يصور ذلك فيقول :

ومفتيها الأمينُ ومفتديها ... وراءَ تخومها يَشكو هيامَهْ؟

فتى أحرارها ما غابَ عنها ... ولا منع الخيالَ بها لِمامَهْ

كأمسِ، كعهدها، لم يَغْفُ عينًا ... بليلٍ أَقسمتْ ألَّا تنامَهْ

يؤلِّفُها على الأحداث صفًّا ... جسورَ النفس جَبَّارَ العُرامَهْ

جهادٌ في العروبة واحتشادٌ ... له التاريخ قد أَلْقَى زمامَهْ

ثم يتوجه بالحديث إلى البطل المجاهد متسائلا يا أخا الصبوات والأسواق إلى الحرية والأوطان هل شفت الليالى والأيام جراحات قلبه وروت ظمآك ، بعد أن عدت إلى وطنك بعد اغتراب ، وكان قد مر على الجلاء عام ووطنك قد حواك واحتواك جلالة فما كان منك إلا أن حنيت الرأس إجلالاً ، ومع ذلك عشت لم تنخفض لجبار هامه ، وقد حزت المجد وطريق المجد دائماً مفروش بالأشواق والأهواء وكم أثر عليك من أهواله ، وكم اعتليت رؤس الجبال ، وكم واد هبطت يعز على الجن أن تصل إلى داره فقد زدت عنه ومنعت الغاصبين من الوصول إليه ، فصنت العراق وحميت الشام ، وجيش من " بنى عدنان " يذكر بالنسور وخالد بن الوليد وعبيدة بن الجراح بسيفه ولامته . يصور ذلك فيقول :

أخا الصَّبَواتِ هل شَفَتِ الليالي ... جراحَ القلب أو رَوَّتْ أُوامهْ؟

حَللتَ بسوريا بعد اغترابٍ ... وقد كاد الجلاءُ يُتِمُّ عامَهْ

فقلتُ: تحيَّةُ الزمن المعادِي ... لمقتتلٍ أَطال بهِ صدامهْ

وأَشرقتِ الكتائبُ عن لواءٍ ... يَدُ الشهداءِ لم تتركْ عِصامهْ

لأَصهبَ من أُسودِ الحرب يمشِي ... بأَصْهَبَ تُمسِكُ الدنيا لجامَهْ

حواكَ جلالةً فحنيتَ رأسًا ... ولم تَخْفِضْ لجبَّارين هامَهْ

طريقُ المجد كم أثَرٍ عليه ... لأهوالٍ لَقِيتَ، وكم علامَهْ!

وكم جبلٍ هبطتَ برأس وادٍ ... يعزُّ الجنُّ أَن تَرقَى سنامَهْ

حميتَ الغاصبين خُطَى إليه ... فصان عراقه وحمى شآمَهْ

بجيشٍ من «بَني عدنانَ» فادٍ ... تَرَى نسرًا بهِ وترى أُسامَهْ

يروعكَ «خالدٌ» فيهِ وتلقى ... «عُبَيْدَةَ» وهو في سيفٍ ولامَهْ

كأَن الفاتحين مِن الأوالِي ... على أَسيافهم رفعوا خيامَهْ!

وفى ختام القصيدة يتوجه بالنصح إلى أبناء الشرق قاطبة واصفاً إياهم بحماة الشرق يقول :- كم فى الغرب باغ عليه وعلى أهله ، أذاقهم بطشاً وسامهم خسفاً وإرهاقاً ، وهناك أيد كالمخالب كاسرات تريد التهام وطنكم ، وكم من ذئاب حول جنتكم تعوى تريد دماءكم بنهم ، ثم يوصى باعداد العدة وعدم الغفلة عنهم فواهم من يظن أنهم يريدون لكم سلاماً . يصور ذلك فيقول :-

حُماةَ الشرقِ، كم في الغرب باغٍ ... عليهِ، أَذاقهُ بطشًا وسامَهْ

وكم أَيِّدٍ عليه مُجَرَّداتٍ ... مخالبَ كاسرٍ يبغي التهامَهْ

ذئابٌ حول جَنَّتِهِ تَعاوَىٰ ... كأَنَّ بها إلىٰ دمهِ نهامَهْ

فهزُّوه صوارمَ مُشْرعاتٍ ... تَشُقُّ بكلِّ مُعْتَرَكٍ زحامَهْ

هو السيفُ الأَصمُّ إذا تَغَنَّىٰ ... صغا متجبِّرٌ وَوَعَىٰ كلامَهْ

أَعِدُّوا حدَّه لصراع دهرٍ ... صريعُ الوهم من يرجو سلامَهْ!

التعليق العام على قصيدة " عودة المحارب "

هذه القصيدة قالها " علي محمود طه بمناسبة عودة البطل السوري "فوزي القاوقجي" إلى وطنه العربي وهبوطه بالطائرة على أرض مصر ففرح العرب بمقدمه وفي مقدمتهم الشاعر " علي محمود طه " ، والشاعر كان مهتماً بأمور وطنه العربي يفرح بفرحه ويحزن إن ألمَّ به مكروه ، فلم علم بعودة البطل فرح فرحاً شديداً وأنشأ هذه القصيدة .

والشاعر في هذه القصيدة مصوراً راصداً لمواقف وبطولات البطل " فوزي القاوقجي " ، فبدأ بالحديث عن الأجواء التي حلَّ فيها ، وسأل الريح هل تدري من تحميله ؟ وكأنه يغبطها ، وقد جاءت قصيدته تحمل البهجة والفرح فكانت عاطفته مشرقة .

ولقد جاءت ابياتها مترابطة رغم تعدد الأفكار فيها يسلم كل منها الآخر ، فحققت فيها الوحدة الفنية والموضوعية ، ولقد جمعت لغة الشاعر بين الرقة والجزالة ، ولم تكن في ألفاظه غرابة ولاغلظة لأنه في موطن الفرح وتعداد المناقب لهذا البطل ، وصور شاخصة حيث صور من ضفاف النيل وكأنها مادة أعناقها مشرئبة تترقب وصوله :-

وقِيلَ: دنا وحَوَّم، فاشرأبَّتْ ضفافُ النيل تستهدي حِيامَهْ

وقد كانت لفتة واضحة كل الوضوح ، وعباراته منتقاه ، وأسلوبه لم يعمد فيه إلى الغريب .

ولقد تحققت الموسيقى في كل أبيات القصيدة فقد اختار لها بحر " الوافر " التام الذي يعبر عنه :-

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

ونوع عروضه وضربه مقطوفان ، والقطف :- هو اجتماع الحذف والعصب معاً .

الحذف :- هو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة ،

والعصب :- هو تسكين الخامس المتحرك ، وتكون صورته هكذا :-

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْ مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْ

وقد اختار لها قافية رويها الهاء الساكنة وكأن روحه قد سكنت بعد آهةٍ طويلة الهاء نهايتها .

صدى الوحى

وإذا كان " على محمود طه " قد دبج القصائد العظام فى مدح المجاهدين ، كذلك نجده يمدح الأعلام كل فى مجاله فهو رجل يقدر الفضائل ويقدر أصحابها مهما تعددت مشاربهم وتنوعت فنونهم ، فكما مدح المجاهدين نراه يمدح الأدباء المعاصرين له ، ومن غير " على محمود طه " فى أعلى مجالى الوفاء وتقدير الرجال نراه يمدح الدكتور محمد حسين هيكل (١) بقصيدته العصماء والتى بعنوان " صدى الوحى " والتى يقول فى مطلعها :-

بيانُكَ من نبعِ الجمالِ المخلَّدِ صدى الوحيِ في أسلوبِهِ المتجدِّدِ (٢)

وقد ألقاها الشاعر في الحفل المقام لتكريم الدكتور " محمد حسين هيكل " بمناسبة صدور كتابه " حياة محمد " وكان من خطباء هذا الحفل الأساتذة الأجلاء " أحمد لطفى السيد ، الدكتور طه حسين ، والشيخ مصطفى عبدالرازق ، وأنطوان الجميل الصحفى اللبنانى ، والشاعر محمد الأسمر ابن دمياط "

نرى الشاعر في مدحه وتكريمه يصف بيانه بأن مصدره نبع الجمال فهو صدى للوحى الإلاهى سرى لحنه في كل قلب كأنه نشيد حب في فصل الربيع ، فبيان هيكل وإن كان حديثاً إلا أنه قديم على ثغر الزمان فإلهامه يصل إلى جبل النور ذلك الجبل المجاور لبيت الله الحرام وقد اكتسب هذا الجبل أهميته التاريخية لأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم كان يخلو فيه بنفسه ليعبد الله قبل البعثة في غار حراء ، وفيه نزل الوحى على رسول الله لأول مرة . يقول عنه هيكل إن كل ما يكتبه يرجع صداه إلى الوحى المنزل الملهم له ولكل الأجيال في هذا الجبل ويوصيه أن يصدع بهذا الصدى في الأجبال كأنه ترانيم شاد ، أو تراتيل منشد ، وأرسل حديثك سمحاً من قريحة شاعر يعيش بروح الصيد حى المجدد ، يصور ذلك فيقول :-

---

١) محمد حسين هيكل: أديب وصحافي، وروائي ومؤرخ وسياسي مصري كبير، صاحب أول رواية عربية باتفاق نُقَّاد الأدب العربي الحديث، كما أنه قدم التاريخ الإسلامي من منظور جديد يجمع بين التحليل العميق، والأسلوب الشائق، وكان أديبًا بارعًا، كما كان له دور حركي كبير في التاريخ السياسي المصري الحديث ،ولد عام ١٨٨٨م بمحافظة الدقهلية لأسرة ثرية، توجه في صغره إلى الكتَّاب، ثم التحق بمدرسة الجمالية الابتدائية، وأكمل دراسته بعدها بمدرسة الخديوية الثانوية، ثم قرر الالتحاق بمدرسة الحقوق المصرية عام ١٩٠٩م. سافر بعد ذلك إلى فرنسا ليحصل من هناك على درجة الدكتوراه.عاد عام ١٩١٢م إلى مصر، واشتغل بالصحافة حتى عام ١٩١٧م، مارس بعدها التدريس الجامعي حتى عام ١٩٢٢م إلَّا أنه ضاق ذرعًا بالعمل الوظيفي، فقرر الاستقالة ليتفرغ للعمل السياسي، فكان أحد أعضاء مجلس إدارة حزب الأحرار الدستوريين، ورئيسًا له فيما بعد، كما تقلد منصب رئيس تحرير جريدة «السياسة» التي أسسها الحزب، وتقلَّد عدة مناصب حكومية رفيعة منها توليه لوزارة المعارف ثلاث مرات، وتوليه لوزارة الشئون الاجتماعية، كما كان رئيسًا لمجلس الشيوخ، ورئيسًا لوفد مصر في الأمم المتحدة عدة مرات.

٢) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ٢١٩ : ٢٢١ .

بيانُكَ من نبعِ الجمالِ المخلَّدِ صدىٰ الوحيِ في أسلوبِهِ المتجدِّدِ

سرىٰ لحنُه في كلِّ قلبٍ كأنَّما شدا الحبُّ في نايِ الربيعِ المغرِّدِ

غريبًا علىٰ الأسماعِ وهو كعهدِهِ قديمٌ علىٰ ثغرِ الزمَانِ المردِّدِ

إلىٰ جبلِ النورِ انتهىٰ سرُّ وحْيِهِ وما هو إلا ملهِمُ اليومِ والغدِ

فغنِّ به الأجيالَ، واهتف بآيِهِ، ترنُّمَ شادٍ، أو تراتيلَ مُنشدِ

وأرسِلْهُ سمحًا من قريحةِ شاعرٍ يعيشُ بروحِ الصَّيْدحيِّ المجدِّدِ

ولقد حوىٰ عقل وفؤاد الكاتب الدكتور " محمد حسين هيكل " عوالم شتىٰ من الفكر والمعرفة وأهمها علوم الدين والتىٰ كان متعبداً بها ، ثم يقص علينا زيارة منه له فىٰ بيته وكانت علىٰ غير موعد ، وما أجمل أحاديث الليل وزياراته حيث أن لليل إصغاء وصفاء يسمع منه خفيف الريح كهمس الروح فىٰ جوف معبد وكانت فىٰ وقت متأخر من الليل ، وكان نور المصباح خافتاً ، إلا بصيصاً من نوره ، وكان هيكل مسهداً ينظر خلف الآفاق أحياناً ، فحياه الأديب وتصافحا فىٰ ودٍ ورقة ، وشاع بينهما جلال الصمت ، والأديب ممعن فىٰ سماء الخيال الملهم ، والشاعر يلاحظه والكاتب يمعن إمعاناً لا تركيز فيه كأنه إمعان الخيال المشرد فلاح للشاعر ملائك تناجيه تروح وتغتدىٰ ، تسر إليه القول ملائكة الإلهام وهىٰ ملائكة لها أجنحة إلا أنها غير مشهورة ، ثم يصورأدوات كتابته فصفحه التىٰ يكتب فيها بيضاء الحواشىٰ كريمة وقلمه عف لا يكتب إلا مايفيد لأنه عف السريرة واليد ، فهو صاحب رسالة إلىٰ جيله والأجيال اللاحقة ، ولا يكتب إلا تلبية لنداء الإلهام الذىٰ يدعو لأنبل المقاصد ، وهو بكتابه عن حياة " محمد " صلىٰ الله عليه وسلم يخط لأهل الشرق سيرة الحبيب محمد ويشبع روحانياته ، يصور ذلك فيقول :-

عوالمُ شتَّىٰ من جلالٍ، وروعةٍ حواها فؤادُ الكاتبِ المتَعَبِّدِ

ذكرتُ، وللذكرىٰ حديثٌ مُحَبَّبٌ وقد زرته ليلًا، علىٰ غيرِ موعدِ

ولِلَّيلِ إصغاءٌ، وللريح حولَهُ رفيفٌ، كهمسِ الروحِ في ظلِّ معبدِ

وقد هدأ المصباحُ، إلَّا مجاجةً من النورِ، في عَيْنَيْ أديبٍ مُسهَّدِ

ترامىٰ وراء الأفق حينًا، وتنثني ببارقةٍ من ذهنه المتوقِّدِ

فحيَّيْتُه همسًا، فحيَّا، وصافحتْ يداهُ يدي في رقةٍ وتودُّدِ

وشاعَ جلالُ الصمت بيني وبينَهُ فأمعَنَ إمعانَ الخيالِ المشرَّدِ

وأمسيتُ أرعاهُ، فلاحت لخاطري ملائكُ بالنجوى تَروحُ وتغتدِي

تُسِرُّ إليه القولَ في غير منطقٍ بأجنحةٍ تهفو على غير مَشهَدِ

على صُحفٍ غُرِّ الحواشي كريمةٍ جرى قلمٌ عفُّ السريرةِ واليدِ

نبيلُ مرامي القولِ في كفِّ كاتبٍ دعاهُ فلبَّاهُ لأنبلِ مَقْصدِ

يخطُّ لروحانيَّة الشرقِ سيرةً هي الحقُّ في دنيا الجمالِ المجرَّدِ

ثم يتابع الشاعر الحديث عن كتاب هيكل "حياة محمد " وهو تمثل سيرة الحبيب محمد ومثلها في صورة قرشية ويجسدها في صورة يشيع فيها الرضا ، وسيرة الحبيب تملأ الأرض حباً ورحمة ، ومن هديها يستقيم المتمرد ، فلقد غيرت وجه الحياة ، وأخذ الشاعر يصور ما كتبه الكاتب عن صفات الحبيب من تواضع ، ونصح وإرشاد وعزوف عن الدنيا ، وملبسه ، وجلوسه على الثرى وحنينه إلى جذع النخلة ؛ وأنه كان يخصف نعليه كل هذا مع أنه بيده أن يعيش حياة الرغد والترف ، ويصور ذهابه إلى المعارك وهو جائع ظامىء والنبى يمضى إلى الغزوات وهو ساغب أى مصاب بالإعياء من شدة الجوع . يصور ذلك فيقول :

تمثَّلها في صورةٍ قرشيَّةٍ يشيعُ الرضا في طيفها المتجسِّدِ

يبثُّ سناها الأرضَ حبًّا، ورحمةً ويطوي هداها سطوةَ المتمرِّدِ

حياةٌ نمتْ مجدَ الحياةِ وغَيَّرَتْ وجوهَ الليالي من وضيءٍ وأربَدِ

تنادى بها الراءونَ، فاعجب لما رأوا جلالُ نبيٍّ، في تواضعِ مُرشدِ

تَسامى عن الدنيا وفيها لواؤُه يطوفُ بسلطانِ العزيزِ المؤيِّدِ

فما ضفَّر الأكليلَ يومًا بمفرِقٍ ولا حلَّ منه التاجُ يومًا بمعقدِ

أحب إليه حين يفترشُ الثرى ويأوي لجذع النخلةِ المتأوِّدِ

ويخصِفُ نعليهِ، وطوعُ يمينِهِ مصايرُ هذا العالمِ المترغِّدِ

ويمضي إلى الهيجاءِ غرثانَ صاديًا فللَّهِ دنيا ذلكَ الساغبِ الصَّدِي

وبعد ذلك نجد الشاعر يعرج بالحديث عن الصحب الكرام من حملوا لواء الإسلام وعملوا على نشره وحفظه وتطبيقه ، فكانوا نعم الأشياع والأجناد فهم بين ساجد وقائم لله ، أصحاب عفة وطهارة ، لم يملكوا قوت يومهم ومع ذلك هم قادة الملك الوطيد ، وهم الموحدون لله العابدون له وحده ، فقد نفوا من حياتهم ومعتقداتهم

كلمة الأرباب ، فما عرفوا فيما بينهم سيد ومسود، لأن نبيهم هو المثل الأعلى في العفة والتواضع ، قد بنى أمته بناء سليماً على منهج الله فصار بناء متفرداً دان به القاصي والداني ، يصور ذلك فيقول :-

ولكنَّهُ دينٌ أفاءَ ظِلَالَهُ ... على ملأٍ من شيعةِ اللهِ سُجَّدِ

عفاةٍ، كأن لم يملكوا قوتَ يومهمْ ... وهم جبهةُ المُلكِ العريض الموطَّدِ

محَوْا لفظةَ الأربابِ من كلماتِهمْ ... فما عرفوا معنى مَسودٍ وسيِّدِ

هو المثل الأعلى ومبعوثُ أمةٍ ... بناها بناءَ المعجزِ المتفرِّدِ

ثم يتوجه بالحديث إلى الكاتب الدكتور محمد حسين هيكل معتذراً عن عطائه الشعري أمامه وإليه فهو قليل ولا يعبر عن ما يكنه له من تقدير واعزاز لأن شعرك وابداعاتك متعددة ، ولكن قصيدتي قلتها لأشارك العمل فأنت كتبت عن حياة " محمد " وأنا فصلت ما قلت وأشرت إليه إشارات موجزة علَّنا نجتمع على حوض النبي وتضمنا شفاعته يوم القيامة وهو خير موعد وأغذب موردیصورد ذلك فيقول :-

مُحَمَّدُ، ما شعري إليكَ وما يدي؟ ... وما الشعر من إبداعِكَ المتعدِّدِ؟

ولكنَّهُ حوضُ الشفاعةِ ضمَّنَا ... على خيرِ ميعادٍ وأعذبِ موردِ

وفي نهاية القصيدة أخذ الشاعر يذكر الكاتب أنهما أبناء إقليم واحد حيث الشاعر من مدينة المنصورة والكاتب من كفر غانم التابع لمدينة السنبلاوين أحد مدن محافظة الدقهلية العامرة ، فلقد انتميت أنا وأنت إلى هذا الأقليم فمن شمس سمائك يزغ فجر مولدي ، ثم يؤكد ذلك فيقول : فإن أفخر وأشدو بالمجد فما هو إلا مجد قد شديت أنت ركنه وهذا الركن الشامخ ركن قومي وسؤددي ، وفي النهاية يتوجه بالحديث إليه قائلا يا محمد ماجئت لأرضيك بشعري ومدحي فكفاك رضاء الحبيب محمد عنك . يصور ذلك فيقول :-

نَمانِيَ إقليمٌ نَماكَ، وأطلعتْ ... سماءَكَ شمسٌ أطلعتْ فجرَ مولدي

فإن أَشْدُ بالمجدِ الذي شِدْتَ ركنَهُ ... فما هو إلَّا ركنُ قومي وسؤدَدِي

محمدُ: ما أُرضيكَ بالشعرِ مِدْحَةً ... فحسبُكَ مرضاةُ النبيِّ محمَّدِ

التعليق العام على قصيدة " صدى الوحى "

كما هو موثق أن هذه القصيدة ألقاها الشاعر " على محمود طه " فى حفل أقيم بأحد الفنادق لتكريم " محمد حسين هيكل " بمناسبة صدور كتابه " حياة محمد " وكان من الحضور " لطفى السيد – طه حسين – مصطفى عبدالرازق – أنطون الجميل – الشاعر محمد الأسمر ".

والقصيدة منذ المطلع تعمل على الاشادة بالكاتب " محمد حسين هيكل " وشعره وفصاحته ثم يشير إلى المؤلَّف " كتاب حياة محمد " وأنه جاءه سره من جبل النور وهو ملهم فى كل عصر ومصر ، فهيكل صاحب عوالم وثقافات شتى ومتنوعة ، ثم يتحدث عن زيارته له ذات ليلة على غير موعد ، ثم وصف حالهما معاً إلى آخر القصيدة .

والقصيدة وإن تعددت أفكارها إلا أنها جاءت مترابطة متماسكة تصب فى غرض واحد وهو " التكريم والمدح " وكذلك تعانقت عناصر التجربة الشعرية من القيم الجمالية والتعبيرية والتصويرية والموسيقية فأنتجت لنا عملاً ابداعياً مكتملاً وعاطفة الشاعر كانت من لون واحد فى هذه القصيدة وهو اللون المشرق الذى بعد عن الغيم والقتامة ولقد شاعت الصور فى هذه القصيدة وتنوعت كما جاءت صوره مشتملة على عناصر الحركة والهيئة واللون يصور ذلك فيقول عندما يصف الرسول صلى الله عليه وسلم :-

أحب إليه حين يفترشُ الثرى ... ويأوي لجذع النخلةِ المتأوِّدِ

ويخصِفُ نعليهِ، وطوعُ يمينِهِ ... مصايرُ هذا العالمِ المترغِّدِ

ويمضي إلى الهيجاءِ غرثانَ صاديًا ... فللَّهِ دنيا ذلكَ الساغبِ الصَّدِي

أما عن الموسيقى الداخلية والخارجية فقد تحققتا حيث اختار لقصيدته بحر "الطويل" التام والذى يعبر عنه :-

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ... فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وهى من بحر "الطويل" التام وعروضه وضربه مقبوضان وقد اختار لها قافية رويها حرف الدال المتحركة التى تدل على تجدد الحركة والنشاط والتأليف العلمى الذى يتناسب مع صدور مؤلف جديد للمدوح .

أما عن الموسيقى الداخلية فتتمثل فى اختيار الشاعر لألفاظه وأساليبه وحروفه وهمسها فى موطن الهمس وجهرها فى موطن الجهر .

تصوير شاعرية د/ إبراهيم ناجى

وكما عهدناه وفياً لكل نابه فى كل مجال نجده يحيى صديقه الأثير عنده الشاعر إبراهيم ناجى (١) ذلك الطبيب الشاعر الشهير فى حفل تكريمه يتوليه مديراً للقسم الطبى بوزارة الأوقاف . وهذه القصيدة واحدة من أمداحه فى الأعلام ومن غير ناجى يستحق فهو شاعر الحب والألم، إجتمعت عليه علتا الحب والألم، فالحب مؤلم، والمرض أشد إيلاماً ، والدارس لشعر ناجى يحس ولأول وهلة أن معظمه ينبض بالألم، وصوره الفنية وتعبيراته ومشاعره فى تجاربه يسرى فيها الألم مسرى الدم فى العروق ، ولذلك كان على محمود طه لماحاً عندما بدأ قصيدته مشيراً إلى ذلك حيث قال فى المطلع :-

عبقريٌّ من النَّغَمْ رَجْعُهُ الحبُّ والألَمْ(٢)

لأن ناجى قد تعددت آلامه ، ألم الحب ، ألم الهجر ،ألم الوداع ، وألم المرض والقصيدة التى أبدعها على محمود طه فى شخص ناجى هى قصيدة جامعة جمعت بين شخصه ونفسه ، وكأنها لوحة زيتية أبدعها رسام إلا أنه رسم بالكلمات ، حيث يقول فى وصفه هو الشاعر العبقرى وآية ذلك شعره وما فيه من نغم وإبداع لأنه يتحدث عن الحب والألم معاً ، ونبعها ومصدرهما قلب ذلك العبقرى ، فلقد علا شأنه وذاع صيته حتى بلغ القمم ، ولمرضه منذ الصغر لم يستسلم بل وجد الحياة فى ما يظن أنه العدم ، وأصبحت الحياة عنده قصيدة شعر ذات موسيقى ما أعذبها يحفها النسيم ، ويرف حولها الندى ، ويحويها النور ، فتجمع الكون عنده وانتظم فأحب الحياة مثل حبه لحورية كما حلم بها ، فمحبوبته المتخلية عنه سكرى تجردت من كل شىء ، وهو عاشق لها محب لخدرها ، ثمل بها ، وبعد أن تم له وتحقق ما تمنى ، فارقته ومضت فما كان منه إلا أن اشتكى السآمة والملل ، يصور ذلك فيقول :

---

١) ولد الشاعر إبراهيم ناجي في حي شبرا بالقاهرة في اليوم الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر في عام ١٨٩٨، وكان والده مثقفاً مما أثر كثيراً في تنمية موهبته وصقل ثقافته، وقد تخرج الشاعر من مدرسة الطب في عام ١٩٢٢، وعين حين تخرجه طبيباً في وزارة المواصلات ، ثم في وزارة الصحة ، ثم مراقباً عاماً للقسم الطبي في وزارة الأوقاف ، وقد نهل من الثقافة العربية القديمة فدرس العروض والقوافي وقرأ دواوين المتنبي وابن الرومي وأبي نواس وغيرهم من فحول الشعر العربي، كما نهل من الثقافة الغربية فقرأ قصائد شيلي وبيرون وآخرين من رومانسيي الشعر الغربي، بدأ حياته الشعرية حوالي عام ١٩٢٦ عندما بدأ يترجم بعض أشعار الفريد دي موسييه وتوماس مور شعراً وينشرها في السياسة الأسبوعية ، وانضم إلى جماعة أبولو عام ١٩٣٢م التي أفرزت نخبة من الشعراء المصريين والعرب ا ستطاعوا تحرير القصيدة العربية الحديثة من الأغلال الكلاسيكية والخيالات والإيقاعات المتوارثة ، وقد تأثر ناجي في شعره بالاتجاه الرومانسي- كما اشتهر بشعره الوجداني ، وكان وكيلاً لمدر سة أبوللو الشعرية ورئيساً لرابطة الأدباء في مصر في الأربعينيات من القرن العشرين ، وقد قام ناجي بترجمة بعض الأ شعار عن الفرنسية لبودلير تحت عنوان أزهار الشر- وترجم عن الإنكليزية رواية الجريمة والعقاب لديستوفسكي، وعن الإيطالية رواية الموت في إجازة، كما نشر- دراسة عن شكسبير، وقام بإصدار مجلة حكيم البيت ، وألّف بعض الكتب الأدبية مثل مدينة الأحلام وعالم الأسرة وغيرهما.

٢) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ٢٩١ .

عبقريٌّ من النَّغَمْ رَجْعُهُ الحبُّ والألَمْ

نَبْعُهُ قلبُ شاعرٍ شارفَ النُّورَ في القمَمْ

ورأىٰ مولدَ الحيا ةِ علىٰ شاطئ العدمْ

في رفيفٍ من النَّدَىٰ وحفيفٍ من النسمْ

وإطارٍ من السَّنَا جمع الكونَ وانتظمْ

ورآها وقد بَدَتْ مِثلَ حوريَّة الحُلُمْ

هيَ سَكْرَىٰ تجرَّدتْ من ثيابٍ ومن عِصَمْ

وهو لاهٍ بخدرها ثَمِلٌ بالذي غَنِمْ

تعصر الكرمَ راحتا هُ لها، وهي تبتسمْ

فشدا أوَّلَ الرعا ةِ بشبَّابة القِدَمْ

قبل أن يُسْعِدَ الغنا ءُ بها راعيَ الغنَمْ

خطرةٌ من شبابهِ وَمَضَتْ، فاشتكىٰ السأمْ

وبعد أن عاش حياة الهجر والوحدة بعد أن نعم بالوصل صار مدلها من الهجر بعد أن كان مدلها من شدة العشق ، فصار يقظاً لم يذق للنوم طعماً فقد آرقته صبابته وهىٰ حرقة الشوق ومكابدته فهىٰ بين جنبيه تضطرم ، يعيش وحيداً زلت به القدم يحلق فىٰ السماء مفكراً سائلاً نجومها وكواكبها والسحب والديم ، ينوح علىٰ قيثارة الشجىٰ تسيل عبراته ودمعه علىٰ ما قد تم فلقد ذاب قلبه حباً ، وهد جسده السقم ، وظهرت عليه علامات الضعف والهزال حباً وألماً ولهذا أبدع الشعر والنغم . يصور ذلك فيقول :-

وإذا الشاعرُ المدلـ ـهُ يقظانُ لم يَنَمْ

أرَّقته صبابةٌ بين جنبيهِ تضطرمْ

يقطع الدهرَ وَحْدَهُ ذاهلًا تائهَ القدَمْ

يسأل الليلَ، والكوا كبَ، والسُّحْبَ، والدِّيَمْ

ناح قيثارُهُ الشجـ ـيُّ بما رقَّ وانسجمْ

وعلىٰ خدِّه جَرَتْ عَبَرَاتٌ من الندَمْ

ذوَّبَ الحبُّ قلبه وبَرَىٰ جسمهَ السَّقمْ

وجلا الغيبُ سرَّهُ بين عينيه وارتسمْ

فجرىٰ في نشيده أروعُ الشعر والنغَمْ

وبعد ذلك أخذ يشير إليه فىٰ الحفل مرشداً للجميع أن ينظر إليه فهو بينكم كأحدكم إلا أنه مبدع الروائع فىٰ صورة الكلم وقد شكته ربة الحكمة إلىٰ ربة القلم فهو رب الحكمة والقلم الجامع بينهما وبعد الشكوىٰ تخاصما إليه فهو الخصم والحكم كل منهما نازعت الأخرىٰ غرامة ، ثم أخذ بصفه عن قرب هو ضامر الجسد ،

ومع أنه قصير القامة إلا أنه باذخ أشم ، فهو وقد فاز بحب الجميع وصار الحب عليه علماً ، فلقد خلد اسمه بما غنىٰ وبما نظم ، فهذا هو ناجىٰ هذا الشاعر العلم .

يصور ذلك فيقول :

فانظروا أيَّ شاعرٍ هو في الحفل بينكمْ

ذلك المبدعُ الروا ئع في صورة الكَلِمْ

ربَّةُ الحكمة اشتكتـ ـه إلىٰ ربَّةِ القَلَمْ

نازعَتْهَا غرامَهُ وَهُوَ الخصمُ والحكَمْ

فاسمعوا الآن شعره وتَمَلَّوْهُ عن أَمَمْ

ضامرُ الجسم واسمُهُ يَسَعُ الكونَ بالعِظَمْ

وقصيرٌ، ومجدهُ باذخٌ كالضحىٰ أشَمْ

ذلك الشاعر الذي فاز بالحب واتَّسَمْ

خالدٌ بالذي شدا خالدٌ بالذي نظَمْ

ذلك «ناجي» وحَسْبُهُ أنَّه الشاعرُ العلَمْ!

التعليق العام على قصيدة "الشاعر"

هـذه القصـيدة ألقاهـا الشـاعر تحيـة لصـديقة الشـاعر " إبـراهيم نـاجى" فى حفلـة تكريمـة بمناسـبة تعيينـه مـديراً للقسـم الطبـى بـوزارة الأوقـاف ، وفى هـذه القصـيدة نجـده يبدؤهابحديثـه عـن الـنغم الـذى رجعـه وصـداه الحب والألم ، وكأنه يريد أن ينبهنا إلى أنـه أخـبر بنـاجى وحياتـه وفكـره مـن غـيره فقـد عكـف عـلى شـعره وحبـه وألمـه ووحدته ، ثم تحدث عن الحياة وتعلقه بها وتمسكه بأطرافها وانجذابه إليها .

وقد اختار الشاعر لقصيدته بحـر "الخفيـف" المجـزوء الـذى عروضـه صـحيحة وضربـه صـحيح ، يعـبر عنـه :- فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن مستفع لن

وقافيتـه اختـار رويهـا المـيم السـاكنة ، لأنـه وإن كـان يحييـه إلا أنـه يصـفه ويصـف حياتـه وهـى حيـاة سـاكنة يملؤها الألم .

الإشادة بزعماء الوطن

سعد زغلول فى صفوف المجاهدين

ومن الأعلام الذين دبج فيهم مدائحه لجميل صنعهم وبلل ثراهم بالرثاء أمواتاً الزعيم "سعد زغلول"(١) فقد كان ملء السمع والبصر لأنه القائد الذى يحوط مصر وأهلها لأنهم أبناؤه برعايته ، وهو الأعز الأكثر بَّراً بمصر وأهلها ، فهوالذى لبى نداء مصر فور عودته ولم يلبِّ وهو خائف ، بل لبى ووجهه يعلوه البشر والسرور وكانت هذه الفترة من أصعب الفترات التى تحياها مصر فالموت يحصد الأُباة حصداً ، والسجن لهم بات قيداً . والشاعر على محمود طه قد أنشأ هذه القصيدة عند عودة الزعيم سعد زغلول من منفاه وكان قد نفى إلى صخرة طارق وجزيرة سيشل فى " مالطة "، وعند عودته استقبله الشاعر بهذه القصيدة التى تحمل بين أبياتها وكلماتها وحتى حروفها أسمى معانى الوفاء والفخر والإعتزاز بالأعلام ، ومن غير سعد يستحق ذلك ، فنراه يتوجه بالأمر لكل ذى عقل وحس أن يعيدوا الفرحة للوطن فحق للوطن وللمواطن أن يسعد بعودة زعيمه المفدى، ومن الملفت للنظر أن الشاعر لم يعتبره فى مستهل قصيدته نفيا بل جعله سفراً ، لأنه حتى وإن أُبعد بجسده فلم يفارقه وطنه وأهله ، فقد جاب البحار وقطع المسافات حتى إذا زال الظلام وزال الظلم حط ركابه وألقى عصا تسّياره ، فهو الذى قدر الإله حياته حتى يكتب بجهاده ونضاله تاريخ بلاده ، فلقد فارق قيده بعد أن كان أعزلاً رهين محبسه وقيده ، ورمى بآسره وذل إساره ، يصور ذلك فيقول :-

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره ... آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

جاب البحارَ إليكمُ حتى إذا ... نَصَلَ الدُّجى ألقى عصا تسيارِهِ

---

١) ولد عام ١٨٥٨ فى قريه ابيانه مركز فوه التابعه وقتذاك لمديريه الغربيه، بدا تعليمه فى الكتاب حيث تعلم القراءه والكتابة وحفظ القرآن، وبعد الانتهاء من تعليم القرآن الكريم ومبادئ الحساب فى الكتاب وفى عام ١٨٧٠ التحق بالجامع الد سوقى لكى يتم تجويد القرآن، ثم التحق بالأزهر عام ١٨٧٣ ليتلقى علوم الدين. كذلك فقد تتلمذ على يد المصلح الدينى الكبير الشيخ الإمام محمد عبده فشب بين يديه كاتبا خطيبا، أديبا سياسيا، وطنيا اذ كان صديقا له رغم العشر سنوات التى كانت تفصل بينهما فى العمر، عمل فى الوقائع المصرية وعمل معاون بنظاره الداخلية ، ظهرت براعته فى أبواب الدفاع السياسى والأعمال السياسية حتى ظهرت كفاءته ومن ثم تم نقله الى وظيفة ناظر قلم الدعاوى بمديريه الجيزة ، شارك فى الثورة العرابية وحرر مقالات ضد الا ستعمار الانجليزي ، عمل بالمحاماه ويعد حجر الزاوية فى إ نشاء نقابه المحامين عندما كان ناظرا للحقانية وهو الذى أنشأ قانون المحاماه ٢٦ لسنه ١٩١٢ ،وقاد سعد زغلول ثوره ١٩١٩ ، شكل أول وزاره يرأ سها مصرى من أصول ريفيه و سميت وزاره الشعب وكانت غصه فى حلق الملك فؤاد الذى ناصبها العداء.وكان من إسهاماته تأسيس الجامعة المصرية: حيث أسس سعد زغلول واحمد لطفى الس سيد وزملاؤهم الجامعة المصرية وكان النص الأول من شروط إ نشائها هو ألا تختص بجنس أو بدين بل تكون لجميع سكان م صر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون وا سطة للالفه بينهم ، وتأ سيس نقابه المحامين ، توفى سعد زغلول فى ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ ، ودفن فى ضريح سعد الذى شيد عام ١٩٣١ ليدفن فيه زعيم الأمة وقائد ثوره ١٩١٩ ضد الاحتلال الانجليزي.

هذا الذي قدر الإلهُ حياتَه ليُنقِّل التاريخ في أدوارِهِ

الأعزلُ المنفيُّ فارق قيدَه ورمى بآسره وذل إسارِهِ

عجبًا يُخافُ مطارَدٌ بجزيرةٍ ضرب الوجودُ بها وراءَ بحارِهِ

فَيُجشِّم المنفى البعيدَ بصخرةٍ في مائجٍ مُتَلثمٍ بخطارِهِ

تخشى أساطيلُ الغزاة عبوره ويروع وحشَ البحر صَمْتُ قرارِهِ (١)

والشاعر يتناول تاريخ البطل وأمجاده وبطولاته ودفاعه عن مصر- فبعد ليل دامس ، وظلام حالك دعا سعد مصر- وأهلها فلباه من كان في أذنيه وقرٌ وقام فيهم خطيباً ففوجىء الأعداء بنداء جهير وصوت يهز أعداءها رعباً وخوفاً ، فبطولاته و سيره من الأمجاد لم يسمع بها عن غيره حتى أتى فكانت من أخباره ، ثم يتوجه بالخطاب إلى البطل " سعد زغلول " أن قم حدث التاريخ وأنت صادق في كل حديثك ،

فلقد أصبح التاريخ من آثارك فأنت المدافع والمنافح عن حماك نصرك الله ، وحاربت معك عناصر الطبيعة فالأرض معك ، والكون كله ، لأن الكون لايضيق عن أن يسع الأحرار في حين أن الغاصب المستعمر من أنيابه يجرى الدم ، ومن أظفاره ، يصور ذلك فيقول :-

سِيَرٌ من الأمجاد لم يُسْمَعْ بها حتى أُتِحْنَ فكنَّ من أخبارِهِ

تلك البطولةُ لم تكن يومًا ولم يطلعْ بها زمنٌ على حُضَّارِهِ

قم حدِّثِ التاريخ غير مُكَذَّبٍ يا منْ غدا التاريخُ مِن آثارِهِ

أنت المصاولُ عن حماك فصِفْ لنا حربَ الفدائيين من أنصارِهِ

والأرضُ كيف تَصُدُّ عن رحمائها والكونُ كيف يضيق عن أحرارِهِ

والغاصبُ السَّفَّاحُ من أنيابه يجري الدمُ القاني ومن أظفارِهِ

ثم يتوجه الشاعر بالحديث إلى الوصوليين الذين حاولوا ستر هزيمتهم بالدعوة إلى السلام والوئام بعد أن أعرضوا عن دعوته قبل نفيه فدعوا بعد مقدمه إلى تناسى الأحقاد والالتفاف حول راية الجهاد ، فيقول لهم الشاعر يامن ناديتم بالسلام ردوا السلام إلى الحوادث ستروا أنه يؤتى الخطر من المآمن ، فقد حمل بشير السلام

---

١) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ٣٣٤

لواء السلام بيمينه فى حين أن يساره تقطر بالدم ، ولكن ضياء قدوم سعد وعدله بدد ظلمهم ، كما بدد الضحى دجى الليل بنوره . يصور ذلك فيقول :-

يا من شَدَوْتُمْ بالسلام رويدكم ... داودُ» لما يَشْدُ في مزمارِهِ

تحت الرَّماد وميضُ نارٍ، فالدجى ... والبرقُ، بعضُ دخانه وشرارِهِ

رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا ... أنَّ المآمنَ هن من أخطارِهِ

حمل البشيرُ قميصَهُ بيمينِهِ ... ودمُ الجنايةِ صارخٌ بيسارِهِ

هذا ضياءُ العدل بدَّد ظلمهم ... كالليل بدَّدهُ الضُّحَى بمنارِهِ

فلقد جاء به سعد ، وما جاء به هو الحق المبين فى سماء ديار الحق " مصر " فاستقبلوه استقبال الفاتحين كعهدهم فى استقباله ، واسمعوا له ، فبيانه فى طيه الحكمة ، وقلبه أبىٌّ ، وصدره متمرد لا يخضع للخطوب ولا يذل ، وعزمه قوى له على العزم ، ففى مثل هذه المواقف ليس غير القوة ناجح ، فليس فى الناس غير سعد يكون لمصر رداءاً وذُخراً ، وليس فى الناس من يستحق ثناء الناس غير سعد ، والشعب مهرول حتى أنهم جاؤوه ولصدورهم أزيز ولأنفاسهم هدير ، فلا تناقش من كفروا بدعوتك التى ظهر صوابها وعليك أن تنسى أذى من أساء واترك أمرهم لخالقهم ، فهم لو لامسوا فؤاده لجزعوا من نوره وناره ، النور الذى محا كل ظلام ، والنار التى تحرق الظالمين المستعمرين ، فهم قد حملوا ذل النكوص وعار الخذلان ، الشعب معك والشعب مثل البحر إن غضب لا تمنعه سدود أو قيود أو حواجز ، ورجاله أبطال لم يهابوا الظلم وقت طغيانه وهدره ، وهم قد خاضوا المعارك المهلكة فما لانت لهم عزيمة ولا ضعفت لهم شكيمة عن مقاومة وحرب الجبابرة حتى اعتلوا حصونهم فزحزحوا أحجارها ودخلوا إلى أغوارها فانظر إلى الحصن يسقط قى يدى ثواره ، وامسى من يومه ورايات الجهاد والنصر خوافق عليه وعلى جدرانه .

يصور ذلك فيقول :-

سعدٌ أهلَّ بهِ وسعدٌ جاءكم ... بالحق أبلَج في سماءِ ديارِهِ

فاستقبلوه كعهدكم وتَخَيَّروا ... لجبينه العالي مُضَفَّرَ غارِهِ

قالوا: نُفِيتَ! فهل نفى عنك الهوى ... ظُلَمٌ سُقِيتَ الأمس كأْسَ عقارِهِ

لا تَلْحَ من كفروا بدعوتك التي ... وضَحَتْ وخلِّ أذى المسيءِ ودارِه

آثامُهم فَزِعَتْ بخالقهم فَدَعْ ... للهِ حكمَ اللهِ في كفَّارِهِ

واللهِ لو لَمَسوا فؤادك لانثنوا ... جَزِعينَ مما لامسوا من نارِهِ

ومحا سناهُ ظلام أنفسهم وما ... حُمِّلْنَ من ذل النكوص وعارِهِ

الشعبُ مثل البحر إنْ يغضبْ فما ... تقفِ السدودُ الشُّم في تيَّارِهِ

ورجالُهُ الأبطالُ، ويحَ رجالهِ ... لم يهدءوا والظلمُ في تهدارِهِ

خاضوا الحتوفَ فما انثنت عزماتُهم ... عن قاهر الوادي وعن جبَّارِهِ

طلعوا على حصّن الظلام فزحزحوا ... أحجاره ومَشوا إلى أغوارِهِ

قذفوا به غَضب السرائر فانظروا ... للحصن يسقط في يديَّ ثُوَّارِهِ

أمسى ورايات الجهاد خوافقٌ ... حُمْرٌ مُنَشَّرةٌ على أسوارِهِ

التعليق العام على قصيدة " فى صفوف المجاهدين "

هذه القصيدة قالها الشاعر بمناسبة الذكرى العشرين لوفاة الزعيم " سعد زغلول " ونشرت فى جريدة البلاغ نوفمبر سنة ١٩٢٣ م ، وهى بعنوان " فى صفوف المجاهدين ، وقالها فى وصف عودة " سعد زغلول من المنفى والتى قال فى مطلعها :-

رُدُّوا علىَ الوادي ربيعَ نهاره آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

فالشاعر فى هذه القصيدة يصف معاناة الزعيم " سعد زغلول " فى منفاه ، فبعد أن كان منفياً وهو أعزل فقد فارق قيوده ورمى بآسره وذل إساره .

وهذه تجربة شعرية صادقة تولدت عن تجربة شعورية صادقة ، فلقد استطاع الشاعر أن يستقطب منا كل مشاعر الفرح والبهجة بعودة الزعيم " سعد زغلول ".

وقد تميزت هذه القصيدة بكثافة غزيرة فى المشاعر والعواطف لعل مصدرها الفرح بعودة الزعيم

وأما عن عاطفته فقد كانت مشرقة لأنها تصف مواطن السعادة بالزعيم وعودته ولقد تحققت فيها الوحدة الفنية والموضوعية تبعاً لتحقق الوحدة النفسية .

وكذلك تحققت الوحدة الموضوعية ، فالقصيدة من البداية حتى النهاية تتحدث عن موضوع واحد وهو عودة الزعيم " سعد زغلول " .

وأما عن اللغة فقد جمعت بين الرقة والجزالة كعادة " على محمود طه " فلغته واضحة جلية ، وأسلوبه يجرى على الطبع والسجية .

وقد اختار الشاعر لقصيدته بحر " الكامل " التام ، عروضه وضربه صحيحان ،ويعبر عنها :-

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

وقد اختار لقافيته رويها هو الهاء المكسورة وكأنها بحركتها انطلاق من قيود الأسر والنفى والهاء كأنها نهاية الآهة الحزينة .

الفصل الثانى

رثاء على محمود طه للأعلام

رثاء على محمود طه "لمحمد على باشا الكبير"
فى قصيدته "بعد مائة عام"

توطئه : -

الرثـاء مـن الموضـوعات البـارزة فى شـعرنا العربـى ، إذ طالمـا رثـى شـعراؤنا مـن رحلـوا عـن دنيـاهم وسبقوهم إلى الدار الآخرة ، وهـو بكـاء يتعمـق فى القِـدم ، منـذ وُجِـدَ الإنسـان ووجـد أمامـه هـذا المصـير المحتـوم " الموت ".

ولكل أمة مراثيها ، والأمة العربية من الأمم التى تحتفظ بتراث ضـخم من المراثى ، والشـاعر على محمود طه شـاعر مبدع حلق فى كل الأجواء ، وأبدع فى كل أغراض الشعر المختلفة من مديح ورثاء وو صف وغزل وتاريخ واجتماع ، والرثاء فى شعر " على محمود طه " باب متسع ينبىء عن معدن الشاعر الأدبى ويبرزه بملامحه الفنية إبرازاً ساطعاً ، والشاعر إن كان قد مدح الأعلام فى كل مجال إلا أن مراثيه للأعلام أكثر من مدائحه هذا يؤكد أنه مولع بالنابهين من الأعلام يكسوهم المدائح أحياء ، ويبلل ثراهم بالدموع راحلين ، فإكبار البطولة فى شـتى ميادينها العلمية والسـياسـية والأدبية والاجتماعية خلق كريم يرتفع بصاحبه ، فإن كان من هؤلاء أصدقاؤه ونظراؤه فلك أن تلمس وفاء القلب و سماحة النفس وروعة الإنصاف ، ومن هؤلاء الأعلام الذين أثروا الحياة فى كل مجال فى مصر الزعيم" محمد على با شا الكبير"(١)فأنشأ الشاعر على محمود طه هذه القصيدة وجعلها بعنوان :- " بعد مائة عام "(٢) وقد ضم هذا العدد بين دفتيه كثيراً من الروائع الفنية والهند سية التى تمت فى عهده وكان فى طليعة ما اشتملت عليه المجلة (٣) فى هذا العدد هذه القصيدة التى أوحت إليه ببعض عبارتها الخاصة ، فكرة إصدار هذا العدد ، ففى مطلع القصيدة نجد الشاعر يتمثل شخص هذا العَلم الفرد وكأنه شاخص أمامه فيحدثنا قائلا :-

---

١) ولد محمد علي في عام ١٧٦٩م على وجه التقريب في مدينة كافالا، وهي مدينة بحرية مقدونية تخضع حاليًا لسيطرة اليونان، وكان والده إبراهيم أغا أحد القادة العسكريين من ذوي الأصول الألبانية الذين عملوا في الحامية العثمانية في تلك المنطقة ، يعد محمد علي با شا مؤسس الدولة المصرية الحديثة، وذلك بسبب إصلاحاته التي قام بها في أرجاء الدولة المصرية بعد ا ستطاعته السيطرة عليها، وكان قد عين من قبل السلطان العثماني واليًا على مصر في أعقاب خروج الحملة الفرنسية في عام ١٨٠١م، واستطاع من خلال حنكته ومهارته السياسية التحكم في مفاصل الدولة الهشة في ذلك الوقت واستصدار فرمان بتعيينه خديوي على البلاد، و شملت اصلاحاته مختلف أركان الدولة، حيث قام بتحديث الجيش المصري في فترة قصيرة بالا ستعانة بالخبرات الأكاديمية الأوروبية وإر سال الكوادر المصرية في بعثات للتعلم في تلك الدول، إلى جانب تأ سيس نظام تعليمي جديد على الطرز الأوروبية وإرسال الطلاب من مختلف التخصصات للدرا سة في الجامعات الفرنسية، الأمر الذي أثر في إعادة توجيه الثقافة المصرية بعيدًا عن السيطرة العثمانية، و شملت إصلاحاته كذلك الزراعة التي قللت من تبعية مصر الاقتصادية للدولة العثمانية، إلى جانب تأسيس جهاز الدولة المصري الحديث، الذي كان من ضمن مهامه التعداد السكاني، وفرض نظام ضريبي مختلف، والتجنيد الإجباري، وتطعيم الأطفال، وغيرها من الأنشطة المركزية للدولة التي لا يزال الكثير منها باقٍ إلى اليوم في مصر.

٢) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ٣٠٠

٣) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ – مقدمة القصيدة فى الديوان – صـ ٣٠٠

مِنْ هذه الروح ذات العزيمة التىٰ لا تلين ومن هذا الجبين المشرق الذىٰ تتحقق عليه الأمانىٰ والآمال فقد أضاء منار السنين التىٰ هىٰ أشعة من بسمات المنىٰ ومن رجاء أبيض كالصباح المبين ، ومن عزائم وقوىٰ عارمة لا تنثنىٰ ولا تلين ، فقد وضعت أساس الملك ، ثم تطاولت لتبنىٰ له المجد المكين فهو أول بانٍ بعد فرعون الذىٰ شيد مصر فىٰ عهود الأولين ، فإن كان فرعون قد نحت من الصخر تماثيله خرساء ، فأنت قد أطلقت من مصر نور العقول ، و شعلة العلم وفجر الفنون ، فقد بنيت الدنيا والحياة معاً بناءاً عزّبه الشعب بعد أن كان مغبون مهين ، وبعثته إنساناً جديداً غير الذىٰ كان ، حتىٰ أن منزلته عزت علىٰ الطامحين .

يصور ذلك فيقول :-

مِن هذه الرُّوحِ وهذا الجبينْ ... يُضيءُ في مصرَ منارُ السنينْ

أشِعَّةٌ من بَسماتِ المُنىٰ ... ومن رجاءٍ كالصَّباح المبينْ

ومن قُوَىٰ مشبوبةٍ كاللظىٰ ... عارمةٍ، لا تنثني، لا تلينْ

خَطَّتْ بناءَ الملك ثم ارتقتْ ... تبنىٰ له المجدَ الرفيعَ المكينْ

أوَّلُ بانٍ أنتَ بعد الذي ... شَيَّدَهُ فرعونُ في الأوَّلينْ

قَدَّ من الصخر تماثيلَهُ ... حِجارةً خرساءَ ليستْ تُبِينْ

وأنتَ أطلعت منارَ الحجا ... وشُعْلَةَ العلم وفَجْرَ الفنونْ

بناءُ دنيا وحياةٍ معًا ... عزَّ به الشعبُ الغبين المهينْ

بعثْتَه خلقًا جديدًا إلىٰ ... منزلة عَزَّت علىٰ الطامحينْ

ولقد أشار الشاعر إلىٰ ما أحدثه محمد علىٰ فىٰ الإرتقاء بالجيش والبحرية ، والرىٰ والتعليم ، والصناعة فصار من صُنْعه وقطنه يلبس كل العالم ، ومن أسلحته يدافعون ، وملئت البحار بسفنه وجيشه القوىٰ حارس أفريقيا والشرق الأمين ، ومن هنا دان لمصر ولسلطانه العالمون . يصور لك فيقول :-

قالوا: الحضاراتُ، فقلت: انظروا ... أين كهذا الشعب في المحسنينْ

من قُطنه يلبس هذا الورىٰ ... ومن يديه مِغزلُ الناسجينْ

والمدفعُ الصخَّابُ من صنعِهِ ... والحُمَمُ الحمْرُ كُرَاتُ المَنونْ

قد ماجَتِ الأرضُ برایاته ... وخوَّضتْ ملءَ البحار السفينْ

وجيشُه مُنقذُ إفريقيا وحارسُ الشرق القويُّ الأمين

بهؤلاء السُّمرِ جُبْتَ الثرىٰ ودُنْتَ في سلطانك العالمين

ثم أخذ يتحدث عن إبنه إبراهيم ذلك البطل الفاتح، وهو الإبن الأكبر لوالى مصر- محمد علىٰ باشا ، وقد توج بتاج البطولات علىٰ رأسه ، وهو الذىٰ شق الجداول وأجرىٰ بها الماء كالتبر المعين ، وفتح السودان ، واصبح النهر تحت سلطانه ، وهو الذىٰ بنىٰ السدود لتختزن السحب ، فهو عبقرىٰ دهره وزمانه فإن ما صنفهُ اعجاز ، فهو مهندس علا فنه ، وعالم حاز علوم الأقدمين ، وقد علم أنَّ للفن قوة لا تقل عن قوة السلاح فأعلا شأنه فدان الله الناس به كما دانوا بسلاحه ، يصور ذلك فيقول :-

ومن بَنِيكَ الصِّيد أبطالُه ومَن كإبراهيمَ في الفاتحينْ؟

تاجُ البطولاتِ علىٰ رأسِهِ مؤتلقٌ والغارُ فوق الجبينْ

مَنْ زَخْرَفَ الوادي وأجرَىٰ به جداولَ التبر كماءِ مَعينْ؟

وأخضعَ النهرَ لسلطانه وهو إلهٌ ساد في الأقدمينْ

ومَنْ بَنَىٰ تلك السدودَ التي تختزنُ السُّحبَ ولا يمتلينْ؟

غوائثُ الأرضِ إذا أقلعتْ حواملُ الغيث الدفوقِ الهتونْ

وَمَنْ أتىٰ الصحراءَ في دَوِّها بهذه الأسوارِ شُمِّ الحصونْ؟

يا عبقريَّ الدهرِ إنَّ الذي صَنَعْتَهُ معجزةُ الصانعينْ

مهندسٌ أنتَ سَمَا فَنُّهُ وعالِمٌ أُوتِيَ عِلْمَ السِّنِينْ

أدركتَ ما للفنِّ من قُوَّةٍ فدِنْتَ بالقوَّةِ فيما تدِينْ

ولا يفوت الشاعر أن يتناول " فاروق " سليل العائلة العلوية فيتوجه بالخطاب له فيقول وهذه أبيات شعر أنظمها وأدَّبها وأهندسها أنا بناؤها إلا أن عناصرها المكونة لها آخرها اللفظ السرِىَّ الثمين ، ورسمها بعض خطوط للناظرين ، ويبدأ فيها الفكر لا ينتهىٰ ، وشبع الأعين فىٰ خيالات الفكر كل هذا السيد النيل وفاروقه ،فهو مرفوع فىٰ موكب الخالدين ، فجده " محمد علىٰ " أنشودة التاريخ فقد ألهمها والدال " أحمد فؤاد " والد فاروق وفاروق من أبنائه الملهمين ، وكذلك فاروق من روح آبائه وأجداده آية كآية الله للمرسلين ، وإن كنت أجد فىٰ هذا البيت مبالغة تصل إلىٰ الغلو وهو غريب عن علىٰ محمود طه وشعره ، كما أنك صورة لها مشرفة سمحة إطارها الحب ونور اليقين ، يصور ذلك فيقول :-

أبياتُ شعرٍ أنا بنَّاؤُها ... آجُرُّهَا اللفظ السَّريُّ الثمينْ

رسمتُها بعضَ خطوطٍ كما ... يُرْسَمُ أُفْقُ الكونِ للناظرينْ

يبدأُ فيها الفكرُ لا ينتهي ... وتسبح الأعينُ لا يلتقينْ

لسيِّدِ النيل وفاروقِهِ ... رفعتُها في موكبِ الخالدينْ

مولايَ، من جَدِّكَ أنشودةٌ ... مِزْهَرُهَا التاريخُ عَذْبُ الرنينْ

ألهمَها والدَك المجتبى ... وأنتَ من أبنائه الملْهِمِينْ

وأنتَ منْ روحيهما آيةٌ ... كآيةِ الله إلى المرسلينْ

وصورة مشرقةٌ سَمْحَةٌ ... إطارُها الحبُّ ونورُ اليقينْ

التعليق العام على قصيدة "بعد مائة عام"

هذه القصيدة قالها "علي محمود طه " بمناسبة مرور مائة عام علي وفاة " محمد علي باشا الكبير" ، لقد كان " علي محمود طه" مقدر للفضائل أينما حلت ، ومن غير محمد علي مؤسس الحضارة المصرية في العصر الحديث يستحق التمجيد فمنه ومن روحه وعمله يضيء منار الحضارة المصرية فأحدثت نهضة في كل المجلات العلمية والحربية والاقتصادية والزراعية وشق الجداول فهو مهندس سما فنه ، وأتاه الله علم السنين .

والقصيدة متحدة الموضوع وقد تحققت فيها الوحدة الفنية كذلك ، والشاعر صادق في كل ما نظمه لذلك صدق شعوره فصدقت شاعريته وصدق شعره .

وعاطفة الشاعر مشرقة فرحة بما قدمه الممدوح لمصر من جلائل الأعمال ، فلقد جمعت لغته بين الرقة والجزالة ، واسلوبه الرشيق ، ومعانيه الرقيقة ، فلغته واضحة كل الوضوح في عبارات جميلة منتقاه ، واسلوبه سهل بعيد عن الحوشي والغريب والتقعر ، ولم يلجأ إلي الصناعة اللفظية .

ولقد شاعت الصورة الشعرية في النص فجاءت في معظم ألوانها .

ولقد تحققت الموسيقي الشعرية في القصيدة فاختار لها بحر "السريع" التام ويعبر عنه:- مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات

وجاءت العروض والضرب علي الصورة عروضه مطوية مكسوفة والضرب مطوي مكسوف كذلك تصير :-

مستفعلن مستفعلن مفعلا مستفعلن مستفعلن مفعلا

واختار لها قافية رويها النون الساكنة مما عملت علي إثراء الموسيقي في القصيدة ، وأما عن الموسيقي الداخلية فهي تتمثل في كل لفظ منتقي أو عبارة محكمة موحية ، أو صورة تعكس نفس الشاعر ومعاناته مما يجعلنا نتفاعل معه .

رثاء على محمود طه "لأحمد شوقى "فى قصيدته " شوقى "

ومن الأعلام الذين خلدهم الشاعر بشعره وإن كانوا قد خُلدوا بأشعارهم أو خلدتهم أشعارهم أمير الشعراء " أحمد شوقى "(١) وبهذا لا يكون على محمود طه قد اقتصر على أعلام السياسة والجهاد فقط ، وإنما تعداهم فمدح أو رثى كل نابه فى مجاله ، فلقد كان الوفاء لإخوانه وأصدقائه واخلاصه لهم من أهم صفاته التى اتصف بها ، فلا عجب إذن عند وفاة أحد هؤلاء الأصدقاء أو الأدباء وأصحاب الكلمة وفرسانها أن يتقدم إلى رثائه معزياً الفضل إلى ذويه ، ومن غير على محمود طه ينصف أصحاب الفضائل والهمم العالية وحديث طه عن أمير الشعراء ومالك ناصية الشعر العربى الذى أعلن الولاء له كل الشعراء من كل صوب وحدب وتحدث بذلك لسانهم المعبر "حافظ إبراهيم "حيث قال :-

أمير القوافى قد أتيتُ مبايعاً وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

لذلك نجد حديث على محمود طه عن أمير الشعراء كان ارحب من حديثه عن غيره ممن رثاهم فقد رثى حافظ إبراهيم ، ومحمد عبدالمعطى الهمشرى ، وجبرائيل تقلا ، وشكيب أرسلان الكاتب والأديب اللبنانى أمير البيان ، ونجد على محمود طه فى مطلع القصيدة التى رثا فيها شوقى يتحدث عن شوقى أنه هجر الأرض والحياة والأحياء لأنه ملَّ مقامه ، فقد عاش حياته حيرة وسآمة وهذا حال كثير من الشعراء لأنهم ينشدون الجمال فى كل شىء فإذا صدموا بصخور الواقع المؤلمة أصابتهم الحيرة والسآمة والملل ، فلقد كان شوقى هيكلاً من حقيقة وخيال معاً تملكا الحب والجمال وملكا عليه لبَّه وزمامه فلقد ألهم الشعراء عقله وقلبه فرقاً وأنتجا للدهر عذباً سلسلا وسحر بيان من حكمة وفصاحة ، فلقد فجر الله منهما إلهامه ، وهو قد غمر الأرض رحمة وسلاماً ، وأظهر

---

١) أحمد شوقي هو أحمد بن علي بن أحمد شوقي، شاعر وأديب مصري، ولد في السادس عشر من شهر تشرين أول سنة ١٨٦٨م في حي الحنفي في مدينة القاهرة القديمة، أبوه كردي، وأمه من أصول تركية شركسية، بايعه الشعراء العرب سنة ١٩٢٧م أميراً للشعراء، حيث كان حينها أكبر مجددي الشعر العربي المعاصرين، اشتهر بالشعر الديني والوطني، ويعتبر رائداً للشعر العربي المسرحي ، وفي الرابعة من عمره التحق بكتاب الشيخ صالح في حي السيدة زينب، وحفظ جزءاً من القرآن الكريم، كما تعلم مبادئ القراءة والكتابة، وبعدها دخل المدرسة الابتدائية، ثم الثانوية، وأظهر درجة تفوق عالية كوفئ عليها بإعفائه من الرسوم الدراسية، وفي الخامسة عشر من عمره التحق بمدرسة الحقوق والترجمة، وانتسب إلى قسم الترجمة، وبعد تخرجه سنة ١٨٨٧م سافر إلى فرنسا على نفقة الخديوي توفيق، وتابع دراسة الحقوق في مونبليه، وهناك اطلع على الأدب الفرنسي، ثم عاد إلى مصر سنة ١٨٩١م جمع أحمد شوقي شعره في ديوانه الشوقيات الذي صدر في أربعة أجزاء، أما الأشعار التي لم يضمها الديوان فقد جمعها الدكتور محمد السربوني في مجلدين أطلق عليها اسم الشوقيات المجهولة، واشتهر أمير الشعراء بشعر المناسبات الوطنية والاجتماعية، والشعر الديني الذي خصص له العديد من القصائد، ومنها: سلوا النبي، والهمزية النبوية، ونهج البردة، كما توجد له ملحمة رجزية طويلة بلغت ١٧٢٦ بيتاً بعنوان دول العرب وعظماء الإسلام نظمها في منفاه في الأندلس، كما كتب العديد من المسرحيات الشعرية؛ ومنها: علي بك الكبير، ومجنون ليلى، ومصرع كليوباترا، وقمبيز، وعنترة، وأميرة الأندلس، والست هدى، وشريعة الغاب، والبخيلة، وكتب أيضاً الروايات؛ ومنها: عذراء الهند والفرعون الأخير، وله في النثر كتاب أسواق الذهب.

جمال الحياة وفتنتها ، وملأ الوجود نشيداً حتى أنه علم الطير لحنه وأنغامه وكذلك ردَّ للكون جماله وموسيقاه ، يصور ذلك فيقول :-

هَجَرَ الأرضَ حين مَلَّ مقامَهْ ... وطوى العمرَ حيرةً وسآمَهْ

هَيْكَلٌ من حقيقةٍ وخيالٍ ... مَلَكَ الحبُّ والجمالُ زمامَهْ (١)

ألْهَمَ الشعرُ أصغريهِ فرفَّا ... في فَمِ الدهرِ كوثرًا ومُدامَهْ

سلسبيلٌ من حكمةٍ وبيانٍ ... فَجَّرَ اللهُ منهما إلهَامَهْ

تأخذُ القلبَ هَزَّةٌ من تساقيـ ... ـهِ وينسى بسحره آلامَهْ

غَمَرَ الأرضَ رحمةً وسلامًا ... وجلَا الكونَ فتنةً ووسامَهْ

مالئًا مِسْمَعَ الوجودِ نشيدًا ... عَلَّمَ الطيرَ لحنَه وانسجامَهْ

ما لَهُ والزمانُ مصغٍ إليه ... رَدَّ أوتارَه وحَطَّمَ جامَهْ؟

والطير قد وُزِّع وأصابه الفزع يوم غاب شوقى عن أيكه وسالت جراحها بعد إلئام ، ثم يتساءل الشاعر ما الذى جعله يشتاق إلى العالم العلوى عالم الروح ، ثم أجاب قال إن روحه المستهامة ، فقد راعها النور فى ذلك العالم العلوى بعد أن كانت فى ظلمة الكون الموحش ، فأسرعت إلى عالمها وطوت ظلام الكون ، لأنها بنت السماء ، وهو من الأرض فلقد نَما التراب عظامه ، ثم يطلب من المتلقى أن يهتف بإسمه فهو ما مات وآثر أن يكون فى السماء مقامه ، يصور ذلك فيقول :-

رُوِّعَ الطيرُ يوم غاب عن الأيـ ... ـكِ وسالتْ جراحُها الملتامَهْ

ما الذي شاقه إلى عالم الرو ... حِ؟ أَجَلْ تلك روحه المستهامَهْ!

راعها النورُ وهيَ في ظلمة الكو ... نِ فخفَّتْ إليهِ تطوي ظلامَهْ

هي بنتُ السماءِ وهو من الأر ... ضِ سليلٌ نما الترابُ عظامَهْ

فاهتفوا باسمه فما مات، لكنْ ... آثرَ اليومَ في السماءِ مُقامَهْ!

وبعد حديثه عن الطير المفزعة المروعة بسبب موت الأمير " شوقى " وتحدثه عن الروح وعالمها العلوى وضيقها من الكون المظلم وحنينها إلى العالم العلوى ، نراه يتحدث عن الرياض والحدائق الغُنَّ فيجرد منها

---

١) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ١٢٧.

شخصاً يوجه للشاعر سؤالاً لم فارق الصداح وجفا أنغامه ؟ ولم يفته أن يستنطق النسيم فيشكو له أن الأمير لم يحمله سلامه إلى محبوبه ، وكذلك يستثير الغدير الماء العذب مالذى عاق الأمر عن تحليقه وبسط جناحيه ودار حول رياضه، وكذلك نراه يستنطق الوادى وشهابه ومطاحه وهو الأرض المنبسطة التى يمر فيها الماء ، وآكامها وهى الأماكن المرتفعة ، وكلها بجمالها تسأل فى صراخ وعويل عن شاعرها المبدع الشادى ، فما كان من الشاعر "على محمود طه" إلا أن تلفت باكياً راسماً شبح الموت أمامه ، وإذا بقلبه يهتف بكل منادى لقى الصادح الطروب حمامه ، ويوصى الشاعر أن يذكروا الأمير فى كل صباحٍ ويذكروا شعره ، وإملأوا الأرض والسماء هتافاً ، يصور ذلك فيقول :-

حدَّثتني الرياضُ عنه صباحًا ما لصدَّاحِها جفا أنغامَهْ؟

وشكا لي النسيمُ أولَ يومٍ لم يُحَمِّلْهُ للحبيبِ سلامَهْ

وتسمعتُ للغدير يُنَادِي ما الذي عاق طيرَه وحيامَهْ؟

أتُراهُ ترشَّفَ الفجرَ نورًا أم شفي من ندى الصباح أُوامَهْ

ورأيتُ الجمالَ في شُعَبِ الوا دِي ينادي بطاحه وأكامَهْ

صارخًا يستجيرُ شاعرَه الشَّا دي، ويدعو لفنِّه رسَّامَهْ

فتَلَفَّتُّ باكيًا وبعيني شَبَحٌ تخطرُ المنون أمامَهْ

هتفَ القلبُ بالمنادينَ حولي: لَقِيَ الصادحُ الطروبُ حِمامَهْ

فاذكروا شدوَهُ بكل صباحٍ وارقُبُوا من خياله إلمامَهْ

واملأوا الأرضَ والسماءَ هُتَافًا عَلَّهُ لم يَرَ الصباحَ فنامَهْ

ثم يأخذ الشاعر بأيدينا وأبصارنا ومن قبلها قلوبنا وجهة كرمة ابن هانىء وهو بيت أمير الشعراء الذى أسسه بعد عودته من منفاه عام ١٩٢٠م وأسماه كرمة إبن هانئ لأنه كان شغوفاً بأبى نواس الحسن بن هانئ ، فنرى الشاعر يتوجه بالحديث إلى الكرمة متخيلاً أنها تظللها من السماء غمامة تحت ظلها زهرة تبكى وعلى فرعها تنوح حمامة ، قد خيم الظلام عليها وامتلأت وحشة وجهامة إلا أنها عرفها وكيف ينكرها وهى معشوقة أمير الشعر ، فبادرها بالسلام وأخذ يصبرها على فقد راعيها قائلاً : ليس للمرء فى الحياة سلامة ، ويواصل الدعوة إلى الصبر والتصبر إلى الكرمة الرمز فيقول نحن فى الحياة أشباح فى ليل عابر يمحو الضياء ظلامه ، وكذلك لا بد يوم من انتهاء الكون فالشمس والنجوم والأفلاك حتماً يوماً ستنتهى كما ننتهى نحن ويستوى فى هذا المصير جميع

الخلق غنيهم وفقيرهم ، فإنه من العبث أن ننشد الخلود في دنيا لا خلود لها ولا فيها لأحد خلود ، وكذلك من المحال أن نرجو الصبا ونتمنى دوامه ، والشاعر يطرح فلسفته الخاصة والتي هي الحقيقة المحتومة ، إذ يقول إن الأرض هي القبر المتسع على عكس ما يظن الناس أنها حفرة ضيقة وأن جوفها المكان الذي تطيب الإقامة فيه ، فعند باب القبر تبدأ الراحة الحقيقية للإنسان حيث عند بابه يترك القلب كل آلامه ، وكذلك يلقى أحلامه ، فهناك ينسى المنعم نعيمه وصباه ، وكذلك ينسى المعذب عنده شقاءه ، وعود على بدء يتوجه بالخطاب إلى الكرمة أن امسحي الدمع على فراق الراحل الكريم ، وانتظري المنايا فهي الحقيقة التي لا مفر منها فهذه طبيعة الحياة ما هي إلا دمعة وابتسامة ، يصور ذلك فيقول :-

لم يرُعْني من جانبِ النيل إلَّا ... كرمةٌ فوقها ترفُّ غمامَهْ

تحت ساجي ظلالها زهرةٌ تبـ ... ـكِي، وفي فرعها تنوحُ حَمامَهْ

عَرَفَتْها عيني، وما أنكرتها ... من ظلامٍ ووحشةٍ وجهامَهْ

قلتُ: يا كرمةَ ابن هاني سلامًا ... ليس للمرءِ في الحياة سلامَهْ

نحن لو تعلمينَ أشباحُ ليلٍ ... عابرٍ ينسخ الضياءُ ظلامَهْ

والذي تلمحين من لَهَبِ الشمـ ... ـسِ غدا يُطفئُ الزمانُ ضرامَهْ

والذي تبصرينه من نجومٍ ... فَلَكٌ يرصدُ القضاءُ نظامَهْ

والمرَادُ المُدِلُّ بالورد زهوًا ... كالذي أذبلَ الردى أكمامَهْ

عبثًا ننشدُ الحياةَ خلودًا ... ونرجِّي الصِّبا، ونبغي دوامَهْ

إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ ... ـبُ وفي جوفِهِ تطيبُ الإقامَهْ

أودع القلبُ فيه آلامَه الكبـ ... ـرَى، وألقى ببابه أحلامَهْ

نَسِيَ الناعمون فيه صباهم ... وسلا المغرمُ المشوق غرامَهْ

فامسحي الدمعَ وابسمي للمنايا ... إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامَهْ!!

وبعد أن أنهى حديثه إلى الكرمة ودعاها إلى الصبر والتصبر نجده يتوجه بالخطاب إلى المسرح بعد أن فقد أهم دعامة من دعائمه في العصر الحديث حيث كان أمير الشعراء رائداً للمسرحية الشعرية فقد كتب العديد من المسرحيات منها " مجنون ليلى – على بك الكبير – مصرع كليوبترا – عنترة – قمبيز – أميرة الأندلس وهذه مسرحية نثرية – وأخيراً الست هدى وهي مسرحية كوميدية . فنجد "على محمود طه" يتوجه إلى المسرح بالعزاء

فى وفاة فارسه ورائده الشعرى وأعظم دعامة من دعائمه ، فلقد ذهب مصدر إلهامك وركيزة خلودك ، وقد وهب للفن قلبه وكل قواه ، وصافاه وده وهيامه ، فكم من ليلة قضيناها بجانبك " المسرح " شهدنا فيها قصة الدهر فى قمة روعتها وفخامتها ، لقد أظهر الشعر روعتها بإبداعه فيها ، ثم يخاطب المسرح أعد عهده وأحى لياليه ، وجدد على المدى أيامه ، ولاتنس نصيبك من همة الشباب الجدد الذين نزلوا إلى ساحة الفن المسرحى ليشيدوا المجد وليكملوا المسيرة بعد أن فارقها فارسها " شوقى " فإن الأمة فى مجملها تغار على الفن ، وترعاه وترعى عهوده وزمامه ، فمصر كانت ومازالت وستظل كعبة الشعر فى الشرق وفى مقابرها لواء الزعامة يقصد شوقى أمير الشعراء العرب ، وهى وإن جاء يوماً ليست فيه زعيمة فهو يوم المعاد ويوم القيامة ، يصور ذلك فيقول :-

أيُّها المسرحُ الحزين عزاءً ... قد فقدتَ الغداةَ أقوى دِعامَهْ

ذهب الشاعرُ الذي كنتَ تستو ... حي وتستلهمُ الخلودَ كلامَهْ

واهبُ الفن قلبَه وقواه ... والمصافيه وُدَّه وهيامَهْ

رُبَّ ليلٍ بجانبيكَ شهدنا ... قصة الدهرِ روعةً وفخامَهْ

أسفَرَ الشعرُ عن روائعه فيها ... وألقى عن الخفاء لثامَهْ

فأعِدْ عهدَه وأحي لياليـ ... ـهِ وجدِّدْ، على المدى، أيّامَهْ

وَلَكَ اليومَ همةٌ في شبابٍ ... ملأوا العصرَ قوةً وهُمامَهْ

نزلوا ساحه يشيدون للمجـ ... ـدِ وشَقُّوا إلى الحياةِ زحامَهْ

فاذكروا نهضةَ البيان بأرضٍ ... أطلعتْ في سمائِهَا أعلامَهْ

إنَّهَا أمةٌ تغارُ على الفنِّ ... وترعى عهودَه وذمامَهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعر في الشر ... قِ، وفي كفِّها لواءُ الزعامَهْ

إنَّ يومًا يفوتها السبقُ فيه ... لهوَ يومُ المعادِ يومُ القيامَهْ!!

التعليق العام على قصيدة "شوقى"

فى هذه القصيدة نلمس الصدق الشعرى والصدق الشعورى معاً حيث أن ألفاظ الشاعر ومعانيه جاءت مناسبة لجو الفقد ، كما كانت مستوحاه من صفات شوقى حيث الملل والسآمة وخياله المشحون بالحب والجمال .

وقد اتحد الموضوع فى القصيدة ، وتتابعت المعانى والأفكار فى تسلسل طبيعى بمعاناة الشاعر وأحزانه وكذلك تعانقت عناصر التجربة الشعرية من القيم النفسية والتعبيرية للشاعر فجاءت تراكيبه متآلفه ، وأفكاره متوافقة ، وصوره دقيقة ، وخياله رائع ، وموسيقاه داخلية وخارجية متناسقة مع الجو الشعرى والتعبيرى والنفسى حيث اختار لها بحر " الكامل " التام الذى يعبر عنه :-

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

عروضه صحيحة وضربه مقطوع ، والقطع هو :- حذف ساكن الوتد المجموع واسكان ما قبله فتصير متفاعلن متفاعلْ .

وهذا البحر شائع فى الشعر العربى حيث أنه كان يعطى امكانية للسرد والبسط القصصى .

أما عن الموسيقى الداخلية :-

فتتمثل فى اختيار الشاعر لألفاظه واتساق أساليبه مع جو الحزن والرثاء مما عبر عن مشاعر بصدق ويسر- وسهولة للتتسق مع حركة النفس المتألمة ، وقد ساعد على موسيقية الألفاظ ما حفلت به القصيدة من القيم الصوتية والتى تتمثل فى همس الحروف – نغم المقاطع فجاءت الموسيقى الداخلية تنساب مع جلال الموقف مما يشهد للشاعر بالطبع المؤاتى الآسر للنفوس وروعة اللفظ وخفته وحسن اختياره وتآلفه مع غيره ، حتى تتلاقى التراكيب الشعرية مع الأرواح التى تأسى مع الآسى ، وتحزن مع الحَزِنْ .

أما عن القافية فقد كانت موحية عاملة على اثراء الموسيقى مع الوزن حيث اختار الميم الساكنة روياً لها ، فقد كان اختياره موائماً للحالة النفسية التى كان عليها من سكون وحزن وألم .

رثاء شاعر النيل "حافظ إبراهيم"

وكما عهدنا على الشاعر على محمود طه من وفاء وطبيعة كريمة تدبج المدح للعظماء أحباء ، نراه يفجع لموتهم ويحزن لفقدهم فيبلل قبورهم بالرثاء أمواتاً .

ومن هؤلاء الذين رثاهم رثاء حاراً الشاعر " حافظ إبراهيم " (١) شاعر النيل ، من الشعراء الذين رثاهم على محمود طه بقصيدة مطولة بلغت أكثر من ثمانين بيتاً نجد الشاعر فى مطلع قصيدته يتوجه بالحديث إلى الأمة طالباً منها أن تملأ الأرض حداداً وظلمة لأن النجم الذى كان أضاء لها دروبها بأدبه واشعاره قد غاب عنها نجمه ومال إلى الغروب ، وإذا كانت الأمة ثرية بمصابيح الفكر والعلم والأدب فقد خبا ضوء أحدها، وهو لم يكن نجماً عادياً بل كان نجماً ثاقباً وهو ما ارتفع عن النجوم أو هو الذى كأنه يثقب مايقع عليه ضوء وهو كناية عن شدة الضوء ولمعانه ، فلقد طواه الموت وهو هالة كان يتنمى وينسب إليها وإلى سناها كل أفق عالٍ ، ثم يتوجه بالخطاب إلى دنيا الخيال وسمائه قائلا :- مات الكوكب الثاقب مافتقده عالم الشعر وما كل يوم تفوزين وتظفرين بكوكب مثله ، فلقد مات الشاعر الذى كان الشرق يردد صدى شعره فلم يكن شاعراً وحسب بل كان ناثراً ومن خلال نثره صور النفس وأظهرها فى ضميرها وأزال الحجب ، فلقد كان شاعر اللغة الذى يعد من الطراز الفريد ، فلم يتعصب يوماً لمنهج قديم أو حديث ، وهو شاعر الحب والجمال والحق يختار من الألفاظ ما يأخذ بالألباب فى أسلوب شائق ، وخيال يستنطق ما وراء الكون فيظهر الخفى المغيب ، فى معانٍ رقيقة والفاظه أعذب من سلسال خمر معتقة ، قوافيها كأنها نغم ، وأوزانه متراقصة طربة ، يصور ذلك فيقول :-

---

١) هو محمد حافِظ إبراهيم ولد في أسيوط في الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٨٧٢ ميلادي. لقب بشاعر النيل وشاعر الشعب كذلك، ولد على متن سفينة كانت تر سو في نهر النيل بعد أن مات والده المصري ووالدته التركية. تكفل به خاله فقام بتربيته رغم أنه كان ذو يد قصيرة وليس الرزق لديه بكثير، وتلقى حافِظ إبراهيم في الكتاب دروس القرآن الكريم وأساسيات القراءة والكتابة ولما زادت حاجات حافِظ إلى المزيد من المال رحل عن خاله دون أن يخبره. بدأت جزالة حافِظ إبراهيم في الشعر تبدو وتتعاظم مع قرائته وإهتمامه باللغة العربية والأدب، وأصبحت ذاكرته تلمع لشدة ما حفظه وساعده ذلك على النظم الصحيح للقافية فقد أصبح في الستين من عمره وهو لا يزال يحفظ الأشعار كلها والتي تناهز الآلاف. شغل حافِظ إبراهيم الكثير من المنا صب المرموقة في مجال الأدب مثل رئيس للقسم الأدبي في الكثير من المراكز التعليمية، وكذلك في دار المعارف الشهيرة، ولم يكن حافِظ إبراهيم رجلاً صارما وحاداً كما يخيل للقارىء بل كان خفيف الظل كما كل المصريين وحسن المعشر والطلة. عرف عن حافظ إبراهيم كذلك أنه شديد الكرم حتى و صل إلى حد التبذير والإسراف، فقد ا ستأجر يوماً قطاراً كاملاً ليو صله إلى حلوان وهذا ما كان، دون أن يجاوره أحد أو يركب معه أحد في القطار. يتطلب الشعر في بعض الأحيان خيالاً عامراً وخاصة بعد فترة طويلة في إلقائه ولكي يبقى الـ شاعر متجدداً وبعيداً عن التكرار، وكان حافظ إبراهيم يملء هذه المكانة بالألفاظ المتعددة والتراكيب المختلفة والمرادفات م ستخدما المخزون الكبير الذي يملكه في رأسه ووجدانه. الوفاة : توفي حافظ إبراهيم عام ١٩٣٢ ميلادية، بعد وجبة عشاء تشاركها مع أصدقائه. له الكثير من الأعمال الأدبية محفوظة في المكتبات تحت اسم (الأعمال الكاملة) لحافظ إبراهيم

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيهبٌ ... مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبٌ

وخبا من مصابح الفكر نورٌ ... كان أمضىٰ من الشهابِ وأثقبٌ

وطوىٰ الموتُ هالةً كان يُنْمَىٰ ... كلُّ أفقٍ إلىٰ سناها ويُنْسَبٌ

يا سماءَ الخيال ما كلُّ يومٍ ... من بني الشعر تظفرينَ بكوكبٌ

ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشـ ... ـرقُ صدىٰ شعره الجميلِ المحبَّبٌ (١)

ومضىٰ الناثرُ الذي صوَّرَ النفسَ، ... وجلَّىٰ سرَّ الضميرِ المحجَّبٌ

الأديبُ العريقُ في لغة الضَّا ... دِ، وقاموسُها الصحيحُ المرتَّبٌ

لم يكن شاعرَ القديم، ولا كا ... نَ لآداب عصرِهِ يتعصَّبٌ

كان يُعْنىٰ بكل فَذٍّ من القو ... لِ، ويُزْهَىٰ بكلِّ حسنٍ ويُعجبٌ

شاعرُ الحبِّ والجمالِ، وربُّ الـ ... ـمنطقِ الحقِّ واليراعِ المؤدَّبٌ

شعرُه من ينابع السحر ينسا ... بُ، وفي عالم الحقيقة ينصبٌ

عاطفيٌّ القصيدِ، يعبثُ بالألبا ... ب أسلوبُهُ الرشيقُ ويلعبٌ

وخيالٌ يسمو إلىٰ ما وراءِ الكو ... ن من عالم اليقينِ ويذهبٌ

يُنْفِذُ الفكرَ في مجاهل دنيا ... هُ فيبدو له الخفيُّ المغَيَّبٌ

ومعانٍ أرقُّ من نسمة الفجرِ ... ولفظٌ من سلسل الخمرِ أعذبٌ

وبيانٌ يسيلُ في كل نفسٍ ... فعلُه من غرائبِ السحر أغربٌ

وقوافٍ كأنَّها نغماتٌ ... هاجها الشجوُ في يراعٍ مُثَقَّبٌ

وكأنَّ الأوزانَ شتَّىٰ مثانٍ ... ترقص النفسُ وفقهنَّ فتطربٌ

وبعد أن تحدث عن حافظ وشعره وأسلوبه ومعانيه ومنطقه وعن وضوح العاطفة المشبوبة في نتاجه الأدبي ، وخياله العالي ، واستنطاق ما وراء الكون من عوالم وفكره النافذ ، ومعانيه الرقيقة ، فنراه يتوجه بالحديث إلى البؤساء الذين كانوا في حياته شغله الشاغل " فقد ترجم حافظ إبراهيم كتاب البؤساء لمؤلفه "

---

١) ديوان علي محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ١٢٣ .

فيكتور هوجو" فلقد ترجمه فى أسلوب متين وتركيب رصين ، واختار ألفاظه أحسن إختيار وكانت ألفاظه أشد ملاءمة لمعانيه واستقراراً فى نصابها وكان فى ترجمته حريصاً كل الحرص على أن يحتفظ للغتنا العربية بروائها القديم وجمالها البدوى التليد ،وعلى أن يعصمها من السقوط والإسفاف ، فنراه يتوجه لهؤلاء البؤساء بالحديث بقوله :- بؤساء الحياة من لكم اليوم معيناً على الحادثات وخطوب العيش بعد أن مات ركنكم والحامى لكم فقد كان قلباً يسعكم ولا يشغله غير همومكم فقد ضاقت الأرض بما رحبت ، فما عليكم إلا أن تبحثوا عن مقيل وركن ركين لكم ، فقد فقدتم النصير وعضدكم القوى الأمين ، فقد فقدتم المدافع عنكم فقد ذاب قلبه رحمة عليكم وكم فاضت عينه بالدموع من أجلكم ، فقد كان رفيقاً وحامياً على كل قلب أصابه البؤس بمخلب ذئاب ، وكم هبَّ لنصرة كل نفس مال عنها نصيرها فاذكروه ولا تنسوه إذا ألمت بكم النوائب.

يصور ذلك فيقول :-

بؤساءَ الحياة من لكمُ اليو ... مَ على الحادثات، والعيشُ أخطبُ

ضاقت الأرضُ بالحنانِ، وفاضتْ ... بالأذى أبحرًا، تضجُّ وتصخبُ

فابحثوا في شعابها عن مقيلٍ ... وانشدوا من منافِذِ النَّجم مهربُ

قد فَقدتم نصيرَكم وسُلبتمْ ... عَضُدًا شَذَّ أن يُغال ويُسلبُ

عَقَلَ الموتُ مِقولًا منه عضبًا ... وطوى مهجةً وأطبق هيدبُ

وخلا اليومَ مِنْ شجاكم فؤادٌ ... ذابَ من رحمةٍ لكم وتصبَّبُ

وَغَفَتْ أعينٌ بكتكم بدمعٍ ... لم تَدَعْ منه ما يُراق ويُسكبُ

الرفيقُ الحاني على كلِّ قلبٍ ... أنشبَ البؤسُ فيه نابًا ومخلبُ

والخفيفُ الخطى إلى كل نفسٍ ... مال عنها نصيرُها وتنكَّبُ

فاذكروه على الليالي إذا ما ... زحمَ الدهرُ ركنكم وتألَّبُ

والشاعر يواصل الحديث فى المقطع التالى عن حافظ إبراهيم وحنوه على كل حزين معذب فلقد كان براً بهم ، وأحنى عليهم من الأب الرفيق الشفيق ، فالعجب كل العجب كيف يصبر كل هؤلاء على خَطْب فقدك ، والأعجب من ذلك صبرهم على البأس ذاته ولم يكن الباكى عليك البؤساء فقط ، بل بكاك الشرق قاطبة فلقد أقيمت لك فى الشرق مآتم ، وكذلك بكاك وندبك ورثاك الأدب والبيان ، ولم يكتف البكاء على الشرق وأهله ، ثم يقسم على محمود طه أن الغرب أيضاً يبكيك ولو أن " فيكتور هوجو " عاد إلى الحياة لأسلم لك الزمام

والريادة وقلدك تاج فرنسا لأن ما فعلته في ترجمتك لكتابه البؤساء فاق الحد في التفرد والتجدد ، يصور ذلك فيقول :-

مَنْ لصرعى الهمومِ بعدَك يا حا ... فظُ، مَنْ للحزينِ؟ مَنْ للمعذَّبْ؟

كنتَ برًّا بهم، وأحنى عليهم ... من فؤادِ الأبِ الشفيقِ، وأحدبْ

عَجَبٌ صبرُهم على خطبك الدَّاوي ... وصبرُ البَأْساءِ من ذاكَ أعجبْ!

قُمْ وشاهد مآتمَ الشرقِ وانظرْ ... كيف يُبكى البيانُ فيك ويُندبْ

قَسَمًا لو يُرَدُّ «هيجو» إلى العيـ ... ـشِ لألقى لكَ الزمامَ وقرَّبْ

ومشى في يمينه غارُ «باريـ ... ـسَ» إلى رأسِكَ الكريمِ وعَصَّبْ

وتمنَّى الذي كتبت عن البؤ ... سِ وردَّ الأصيل دون المعرَّبْ!

وكذلك كانت الفجيعة بفقد حافظ حالَّة في كل شيء ، فالنهضة كذلك فجعت بموت بانيها ومن شدَّ ركنها وشاد بناءها ، ودافع عنها بشعره وعقله ورأيه ، فكان مجاهداً ومحفزاً لأشبال المجاهدين وكماتها، وكان دائماً مصدر الأمل لديهم ، فعلى الدوام كان متوثباً ، فقد اضطربت الحياة وهاج وماج كل صاحب رأى ولكن حافظ إبراهيم كان صاحب رأى قاطع أذهب كل جدل ولجاج في النفوس ، فقد كان نافذاً في الصميم من كل باطل نادى به القوم ، فرأيه قاطع كالسيف المذرب ، يصور ذلك فيقول :-

فُجِعَتْ نهضةُ البلاد ببانٍ ... شدَّ من ركنها، وشادَ، وطنَّبْ

وحباها من شعرِه وحجاهُ ... ما أفادَ الجهادَ فخرًا وأكسبْ

هزَّ أشبالها الكماةَ وأحيا ... أملًا في صدورهم يتوثَّبْ

لو شهِدتم غداةَ ثورتها الكبرى ... لَجَاجَ النفوسِ وهي تَلَهَّبْ

لرأيتم في ثورةِ النفسِ منه ... محنقًا من قساورِ الغيل مُغْضَبْ

لم يَزَلْ منه في المسامع صوتٌ ... تتوقَّى الظُّبَى صداهُ وترهبْ

نافذٌ في الصميم من باطلِ القو ... مِ كما ينفُذُ السِّنانُ المذرَّبْ

ثم يتوجه الشاعر " على محمود طه " إلى الشاعر "حافظ إبراهيم " بالقول :- يا حافظ إن كنت سميت به فإنك قد اتصفت به فلقد نلت من إسمك في صفاتك النصيب الأوفى ، فأنت حافظ الود ، والزمام فلك منى

سلام فلم يعد بعدك من يوفى ويود ويصحب ، فقد كنت نعم الصديق فى كل وقت وحين ، حين يرجى الصديق أو حين يطلب ، فأنت لم تغيرك أحداث الزمان على قسوتها أو كثرتها وتقلباتها ، فأنت قد جبلت على خلق من الصدق ، حتى وإن لم تتحقق آمالك وأمانيك ، وخلقك الإباء ورفض الضيم وقلب غير الحب والوفاء لا يعرف ، وصاحب همة وعفة وضمير يقظ على الدوام ، لم يفتنه مال ولا جاه لذلك لم تحد عن الطريق القويم ، وما أعظم الشاعر حين قال " وبلوغ النجوم من ذاك أقرب " وقد صنت لسانك عن السؤال وعن الكذب والنفاق ومينُ الكلام أو التذبيب فى المواقف ، فقد كنت تضحى بالحياة والأحياء وتموت صادياً إن لم يكن موردك تعل منه الماء الحلال الأعذب فتموت صادياً دون أن تشرب ، فحياتك عبارة عن صفحات نقية ناصعة تكتب بمداد الحق فى أشد وأصعب وأعصب العظائم تكتب ، يصور ذلك فيقول

حافظَ الودِّ والذمامِ سلامًا ... لم يَعُدْ بعدُ من يُوَدُّ ويُصحَبْ

كنتَ نعم الصديقِ في كل آنٍ ... حينَ يُرجى الصديقُ أو حين يُطلبْ

لم تُغَيِّرْكَ من زمانِكَ دنيا ... وحياةٌ بأهلها تتقلَّبْ

خُلُقٌ رضتَه على شرعةِ الصدقِ ... وإنْ خانكَ الرجاءُ وكذَّبْ

وإباءٌ حميتَهُ من صغارٍ ... وبريقٍ من المواعد خُلَّبْ

وفؤادٌ لغير عاطفة الـ ... ـوِجدان لا يدَّنِي ولا يتقرَّبْ

وضميرٌ لا يبلغُ المالُ منه ... وبلوغُ النجومِ من ذاك أقربْ

ولسانٌ حفظته من سؤالٍ ... لا يَمينُ الكلامَ أو يتذبذبْ

يلفظُ الروحَ صاديًا وإذا لم ... يَصْفُ للماءِ موردٌ ليس يشربْ

صفحاتٌ نقيةٌ بمدادِ الحـ ... ـقِّ في مجتلي العظائِم تُكتبْ

وفى المقطع الأخير من هذه القصيدة نجد الشاعر يعتذر من المرثى فيقول له : لم أُوَفِّك حقك ، فلقد خاننى منطقى وعصانى قلمى فى حين أنه كم أفاضى وأجاد وأسهب ، وذلك من عظم المصاب فيك، فأنت من أمة بعثها الله هادية لكل الأمم ، وهى أمة ولادة لا ينقطع هُداتها ، فلم يزل من على الأرض هداه وظل وشعاع ينير وغيث كل محتاج ، وفى كل وقت أصواتكم وطيفكم يعود فأنتم وإن فقدناكم فحضوركم فينا دائم سرمد. يصور ذلك فيقول :-

خانني فيك منطقي، وعصاني ... قَلَمٌ طالما أفاضَ وأسهبْ

آب بالشعرِ من مصابِكَ يبكي رزءَه فيك والرجاءَ المخيَّبْ

أنتَ من أمةٍ بهم بعثَ الله هداهُ إلى الشعوبِ فثوَّبْ

لم يَزَلْ منكم على الأرض ظِلٌّ وشعاعٌ هادٍ، وغيثٌ مُصوَّبْ

ويجوبُ الحياةَ في كل آنٍ هاتفٌ منكمُ وطيفٌ تأوَّبْ

حُضَّرٌ في القلوب أنتم وإن كنـ ـتم، على ملتقى النواظر غُيَّبْ

التعليق العام على قصيدة حافظ إبراهيم

لم يكن " علي محمود طه " شاعر فحسب ، بل كان صاحب اسهامات أخرى في الحياة السياسية والثقافية في عصره ، وقد قال الشعر في عدة أغراض ، المدح – الرثاء – الوصف – الخ .

والشاعر في هذه القصيدة راثياً فلقد جاءت قصيدته تحمل الحزن والأسى منذ البداية حتى النهاية ، ولقد جاءت أبياتها مترابطة متناسقة يسلم كل منها إلى الآخر فأنتجت لنا هذا العمل الإبداعي الذي يعد من فرائد شعر " علي محمود طه " لأنه قد تحققت فيه الوحدة الفنية .

- **التجربة الشعرية وصدق العاطفة : -**

هذه تجربة شعرية تولدت عن تجربة شعورية صادقة قالها شاعر صادق ، كأنها نفثة مكلوم خرجت من قلب مكظوم ، فلقد استطاع الشاعر أن يستقطب منَّا كل مشاعر الأسى والألم والتوجع ، فقد عرض تجربته عرضاً تلين منه الصخور ، ولذ فينا الأكباد ، حرَّق منا القلوب ، وحفر في الخدود أخاديد للدمع تفيض من معين لا ينضب ولا يغيض ، وقد تميزت هذه القصيدة بكثافة غزيرة في المشاعر والعواطف والانفعالات لعل مصدرها الحزين الشديد لفقد هذا الأديب الذي كان درعاً واقياً لمصر وشعبها وفقرائها ولغة القرآن .

- وعاطفة الشاعر كانت من لون واحد في هذه القصيدة ، ذلك هو اللون القاتم الغائم المنقبض الثائر ، فالعاطفة حارة أخرجت من نفس مصهورة في بوتقة الفجيعة والوجيعة ، ومع ذلك تقققت فيها الوحدة الفنية تبعاً لتحقق الوحدة النفسية وكذلك تحققت الوحدة الموضوعية فالقصيدة من البداية حتى النهاية تتحدث عن موضوع واحد وهو رثاء " حافظ إبراهيم "

- **اللغة والأسلوب : -**

لقد جمعت لغة الشاعر الشاعر بين الرقة والجزالة ، كما جاءت صاخبة مضطربة في تصوير مواطن الفجيعة والألم ، يصور ذلك فيقول :-

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيهبْ ... مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبْ

وخبا من مصابح الفكر نورٌ ... كان أمضى من الشهابِ وأثقبْ

وطوى الموتُ هالةً كان يُنْمَى ... كلُّ أفقٍ إلى سناها ويُنْسَبْ

يا سماءَ الخيال ما كلُّ يومٍ ... من بني الشعر تظفرينَ بكوكبْ

ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشـ ... ـرقُ صدى شعره الجميلِ المحبَّبْ

وجاءت رقيقة عندما كان يتحدث عن شعره وشاعريته وأسلوبه الرشيق ومعانيه الرقيقة التي هي من نسمة الفجر أرق يصور ذلك فيقول :-

الأديبُ العريقُ في لغة الضَّا دِ، وقاموسُها الصحيحُ المرتَّبُ

لم يكن شاعرَ القديم، ولا كا نَ لآداب عصرِهِ يتعصَّبُ

كان يُعْنىٰ بكل فَذٍّ من القو لِ، ويُزْهَىٰ بكلِّ حسنٍ ويُعجبُ

شاعرُ الحبِّ والجمالِ، وربُّ الـ ـمنطقِ الحقِّ واليراعِ المؤدَّبُ

شعرُه من ينابع السحر ينسا بُ، وفي عالم الحقيقة ينصبُّ

عاطفيُّ القصيدِ، يعبثُ بالألبا ب أسلوبُهُ الرشيقُ ويلعبُ

وخيالٌ يسمو إلىٰ ما وراءِ الكو ن من عالم اليقينِ ويذهبُ

يُنْفِذُ الفكرَ في مجاهل دنيا هُ فيبدو له الخفيُّ المغَيَّبُ

ومعانٍ أرقُّ من نسمة الفجرِ ولفظٌ من سلسل الخمرِ أعذبُ

وبيانٌ يسيلُ في كل نفسٍ فعلُه من غرائبِ السحر أغربُ

وقوافٍ كأنَّها نغماتٌ هاجها الشجوُ في يراعٍ مُثَقَّبُ

وكأنَّ الأوزانَ شتَّىٰ مثانٍ ترقص النفسُ وفقهنَّ فتطربُ

ولقد كانت لغته واضحة كل الوضوح فىٰ عبارات جميلة منتقاه ، واسلوبه لم يعمد فيه إلىٰ التقعر ، بل جرىٰ فيه علىٰ الطبع والسجية ، لذلك خلا من كل غريب أو حوشىٰ مبتذل ، كما تجرد من الصناعة اللفظية لأنه مشغول بفقد عزيز قد صرفه ذلك عن التصنع فىٰ القول .

- **ولقد حفلت القصيد بالأساليب البلاغية : -**

كالأمر – النهىٰ – الاستعارة – التشبيه .

- **الصورة الشعرية فى النص : -**

لقد شاعت الصور المتقابلة فىٰ النص ، كما كثرت الصور المتنامية عن بعضها ، كذلك الصور الظاهرة كما جاءت صور مشتملة علىٰ عناصر الحركة ، الهيئة – اللون ، كما كان واضحا فىٰ القصيدة عنصر التجسيد والتشخيص للمعنويات ، وكذلك الجمادات التىٰ بعث فيها الروح وخصها بخصائص بشرية ، يصور ذلك فيقول :-

فُجِعَتْ نهضةُ البلاد ببانٍ شدَّ من ركنها، وشادَ، وطنَّبْ

وحباها من شعرِه وحجاهُ ما أفادَ الجهادَ فخرًا وأكسبْ

هزَّ أشباهها الكماةَ وأحيا أملًا في صدورهم يتوثَّبْ

لو شهِدتم غداةَ ثورتها الكبرى لجَاجَ النفوسِ وهي تَلَهَّبْ

لرأيتم في ثورةِ النفسِ منه محنقًا من قساورِ الغيل مُغْضَبْ

لم يَزَلْ منه في المسامع صوتٌ تتوقَّى الظُّبَى صداهُ وترهبْ

نافذٌ في الصميم من باطلِ القو مِ كما ينفُذُ السِّنانُ المذرَّبْ

والقصيدة عامرة وزاخرة بالعديد من الصور الحية و المتنوعة .

- **الموسيقى الشعرية فى القصيدة : -**

لقد تحققت الموسيقى فى كل أبيات القصيدة لم تتخلف عن بيت من أبياتها ، فقد جاءت القصيدة على الوزن العروضى لبحر " الخفيف " التام والذى يعبر عنه :-

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وهى من الصور التى عروضها صحيحة وضربها صحيح ، واختار لها روياً هو حرف الباء الساكنة ، وطبيعة هذا البحر تتناسب مع جو الحزن والفقد والرثاء " إن طبيعة هذا البحر الإيقاعية كما يرى بعض الباحثين تتفق مع الشجن والتذكر والحنين وهو يكثر فى الشعر الفصيح (١) .

هذا بالنسبة للوزن ، أما بالنسبة للقافية وماتحدثه من موسيقى ، فلعل حرف الباء الساكنة يصور لنا الحالة النفسية التى كان عليها الشاعر من انقباض وحزن وسكون وألم .

أما عن الموسيقى الداخلية فهى تتمثل فى كل لفظ منتقى أو عبارة محكمة موحية أو صورة تعكس نفس الشاعر ومعاناته مما يجعلنا نتفاعل معه .

---

١) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور د / صابر عبدالدايم – صـ ١٠٨

الأعلام المكانية

هذا والشاعر على محمود طه بالإضافة إلى ما قمت بتحليله وتفصيله من القصائد التى قالها فى أعلام عصره وغيرهم إما راثياً أو مادحا ، نجد له أيضا فى دواوينه الكثير ولكن اكتفيت بما حللت لأثبت ما أردت إثباته فلقد شاع لدى الباحثين والمؤرخين للشعر ونقاده أن على محمود طه شاعر الحب والخمر والمرأة معللين ذلك بما ذكره فى شعره قوله :-

فقالت: ما حياتُكَ؟ قلتُ: حُلْمٌ من الأشواقِ أوثرُ أن أُطيلَه

حياتي قِصَّةٌ بدأتْ بكأسٍ لها غنَّيتُ، وامرأةٍ جميلَهْ!!

فاعتمدوا على مثل هذا وقام بالحكم عليه أنه شاعر الخمر والمرأة ،وإن كان هو قد ساعدهم على ذلك فوجدناه فى قصيدة أخرى بعنوان اعتراف إذ يقول :-

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيرا تٍ وأترعتُ بالمدامة كأسي

وتَولَّعتُ بالحسان؛ لأنّي مُغْرَمٌ بالجمال من كلِّ جنسِ

وتَوحَّدتُ في الهوى ثم أشركـ ـتُ على حالتَيْ رجاءٍ ويأس

وتَبذَّلْتُ في غرامي فلم أحـ ـبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسي

فهو هنا يتحدث عن المرأة وعن الجمال وعن الحب ، والمرأة التى لقيها فى الشرق والمرأة التى لقيها فى القرب و صاحبها، والجمال الذى تذوقه هنا أو هناك .

إذن يجب أن نقرر أن على محمود طه شاعر كأى شاعر تغنى للمرأة وللخمر إلا أنه لم يقصر فنه عليهما بل اتسعت ذائرة الفن عنده ومن أهم أغراضه الشعرية المدح والرثاء والتهنئة لأعلام عصره وغيرهم من عصور سابقة ، بل لم يقتصر فى ذلك على المصريين أو العرب بل تعداهم إلى أعلام غربيين قدموا نماذج للإنسانية فما كان منه إلا أن أشاد بهم وخلدهم فى شعره ، بل ولم يقتصر على الأعلام البشرية بل تعداهم إلى الأعلام المكانية فنجده يتحدث عن مصر – وسوريا وفلسطين وأندونسيا ، فقد قال قصيدة فى مصر ـ وحبها وشعبها وإن كنت آخذ عليه مبالغته فى مدح الفاروق لدرجة الغلو فى البيت الأخير منها إذ يقول فى مطلعها :-

هَوَى لَكِ فيهِ كلُّ ردًى يُحَبُّ فديتُكِ! هل وراءَ الموت حُبٌّ؟

ثم يقول فى النهاية عن فاروق ملكها آنذاك :-

إليكَ توجَّهَتْ بالروحِ مصْرٌ وأنتَ لمصرَ بعد الله ربٌّ

وكذلك تحدث عن فلسطين يشيد فيها بفلسطين أرضاً وشعباً ، وينعى فيها على المحتل الغاصب الذى يدين شِرعة الأدغال والتى يقول فيها :-

فلسطينُ لا راعتْكِ صيحةُ مُغتالِ سَلِمْتِ لأجيالٍ وعِشْتِ لأبطالِ

ولا عَزَّكِ الجيلُ المُفدَّى ولا خبتْ لقومكِ نارٌ في ذوائب أجبالِ

صَحَتْ باديَاتُ الشرق تحت غبارهم على خلجات الرُّوح من تُرْبِكِ الغالي

فوارسُ يَسْتَهْدِي أعِنَّةَ خيلهم دَمُ العرب الفادين والسؤددُ العالي

بكلِّ طريقٍ منه صخرٌ مُنَضَّرٌ وكلِّ سماءٍ جمرةٌ ذاتُ إشعالِ

هو الشرقُ لم يهدأْ بصبحٍ ولم يَطِبْ رقادًا على ليلٍ رماكِ بزلزالِ

غداةَ أذاعوا أنَّكِ اليوم قِسْمةٌ لكلِّ غريبٍ دائم التِّيهِ جوَّال

وكذلك نراه يتحدث عن سوريا الشقيقة فى عيد الجلاء وعن أحرارها الأبطال الذين يفتدونها طلباً لتحريرها ولدا الخلد الجنة ، والتى يقول فيها :-

هنَّأْتُ باسمكِ تحت الشمس أحرارا يَنْدَى هواك على هاماتهم غارا

دمَشْقُ! يا بلَد الأحرار، أيُّ فتًى لم يَمْتشقْ فيك سيفًا أو يَخُضْ نارا

ذَوْدًا عن الوطن المعبود، من دمِه للمجد يبنيه آطامًا وأسوارا

زَكَتْ «أُمَيَّةُ» في أعراقه وجرتْ دمًا يُروِّي الثرى أو يغسلُ العارا

عيدُ الجلاءِ أُسمِّيهِ وأعرفهُ يومٌ تباركَ أنداءً وأسحارا

جلا عن الشرق ليلَ البغي حين جلا عروبةً فيكِ تَلْقَى الأهل والدارا

ولم يقتصر فى حديثه عن أعلام البلدان العربية فحسب بل أنشأ قصيدة عن أندونسيا ذلك البلد المسلم فى خارج دائرة العرب إذ يقول فيها :-

سحائبُ حمرٌ؟ أم سماءٌ تضَرَّمُ؟ أم الشمسُ يجري فوق صفحتها الدمُ؟

على مَشْرِقِ الإصباح من «إندونيسِيا» سيوفٌ تُغَنِّي أو حتوفٌ تُرنِّمُ

وفوق رُباها يزحفُ الموتُ ضاحكًا على جُثَثٍ منهن يَرْوَى ويَطعَمُ

فراديسُ شرقٍ ذِيدَ عنهن أهْلُهُ وهنَّ لأَهل الغرب نهبٌ مُقَسَّمُ

يُدارُ بها ماءُ الجماجِم مثلما يُدارُ على الشربِ الرحيقُ وَيُسْجَمُ

وفي أرضها أو أفقها صوتُ مُحْنَقٍ كأنَّ صداهُ الغيبُ، لو يتكلَّمُ!

ومن الأعلام الذين تناولهم فى شعره مدحاً او رثاءاً السيد درويش فى قصيدته إلى سيد درويش التى يقول فيها :-

طويتَ الحياةَ خفيَّ السُّرَى كما تذهبُ النجمةُ التائهةْ

تُطلُّ على عالمٍ ينظرون فتطرفك النظرةُ الشائهةْ

وتلحظُهم، من وراءِ الحياةِ بنفسٍ معذَّبةٍ والِهَةْ

شقيتَ بهم، حيث ساد الغبيُّ وخصُّوه بالسمعةِ النابهَةْ

لقد ضلَّتِ الأرضُ في ليلِهَا فحقَّتْ بها لعنةُ الآلهَةْ!

وكذلك محمد صبرى أبو علم فى قصيدته عالم الذكرى .

وكذلك السياسى أمين عثمان فى قصيدته مصرع السياسى .

والأستاذ شكيب أرسلان فى قصيدته الأمير المجاهد .

أبعد هذا وغيره يقال عنه أنه شاعر المرأة والخمر فالأولى بنا أن نقول عنه شاعر الحب على إطلاقها ، فقد أحب بلاده وأحب أعلامها ، ويكفيه عروبة وإسلاماً واسبسالاً نشيده القومى والإسلامى الذى أنشده فى سبيل تحرير فلسطين :-

أَخِي ، جَاوَزَ الظَّالِمُونَ المَـدَى فَحَقَّ الجِهَادُ ، وَحَقَّ الفِـدَا

أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ العُرُوبَـةَ مَجْدَ الأُبُوَّةِ وَالسُّـؤْدَدَا ؟

الفصل الثانى

المحاور الفنية فى شعر على محمود طه

المحور الأول

الألفاظ عند على محمود طه وأثرها فى تحديد معالم الشخصية

تعتبر الألفاظ هى العنصر الرئيس فى العمل الأدبى ، إذ هى الوعاء الذى يصب فيه الشاعر تجربته ، فتظهر معانيه وخواطره ، وعاطفته وصوره ، كما أن الطبع يفرض ارتباط الألفاظ بواقع الأديب النفسى ، فهى جزء من شخصيته ونفسه فى شتى أحوالها ، فهى هادرة فى غضبه ، ثائرة فى حبه ، حانية فى لهوه ومرحه ، باكية دامية فى حزنه وشجنه ،ومن هنا إذا تصفحنا دواوين على محمود طه على اختلافها لوجدناها تمثل على محمود طه نفسه ، ولوجدنا أن ما فيها من أساليب وألفاظ وتراكيب لغوية منتمية إلى العالم النفسى للشاعر ، ومعبرة عن تجارب روحية عاطفية صادقة ، بل معبرة عن أفكاره وتصوراته لما يعتمل فى قلبه من عواطف وأحاسيس داخلية ، واستطاع الشاعر أن ينقل لنا ما بداخله من طاقات عاطفية هائلة ومن صراع داخلى عاناه نتيجة لما تعانيه الأمة من احتلال واستعمار إذن " الألفاظ هى وسيلتنا لإدراك القيم الشعورية فى أى عمل أدبى ، وهى الأداة التى تهيئ الأديب أن ينقل لنا تجاربه الشعورية ، ففى أى عمل عمل أدبى تناغم بين الفنان والطبيعة وبين الفنان وأمته وقضاياها ، وفى تجربته الفنية يشكل بالألفاظ تصوراً لما حوله أو لبعض ما حوله ويقدمه لنا فى إطار يحرص على أن يضمنه أحاسيسه وأفكاره (١)

فالشاعر يصف المشاعر الحسية وصفاً غامضاً مبهماً ويلم بأطراف الشعور الممتدة فى أغوار عالمه الروح الرحيب .

" والشعر لدى الروح الرومانسية انعكاس للعالم الداخلى للشاعر وللعالم الخارجى كما يراه وهو، وكما ينعكس فى نفسه والرومانسيين يهتمون فى أشعارهم بالأمور البعيدة والغريبة وينطلقون بأفكارهم وعواطفهم إلى ما وراء المحسوس ليتخذوا منه مادة لأشعارهم (٢) .

ولا شك أن الحياة العامة فى وطن "على محمود طه" وفى الأوطان العربية كانت من أهم القضايا التى شغلت ذهنه واتصلت بحياته اتصالاً وثيقاً وهو شاعر لا يكتب إلا ما يتحرك له حسه ويفيض به خاطره ، والشعر عنده عاطفة تتشكل فى الأسلوب الذى يلائمها والقالب الذى يتساوى معها ، وبهذا فقد كانت الفاظه نابعة من نفسه مطبوعة بشخصيته غنية بمشاعره ، ثرية بإحساساته وعواطفه ، وهذا ما أضفى عليها الرقة والعذوبة ، والحلاوة وروعة الجرس وجمال النغم ، وقوة الإيحاء " ويرى علماء اللغة أنه من المحال أن تصدر أحكاماً على فلسفة شاعر ما ، أو آرائه دون تحليل مسبق للغة هذا الشاعر ، فكل شاعر يتناول الأغراض التى

---

١) النقد الأدبى الحديث – أحمد كمال زكى صـ ٣٩ .

٢) النقد الأدبى الحديث – د/ أحمد عبدالسلام صقر صـ ١٠٥ .

يكتب فيها من زاوية معينة مستعيناً فى التعبير عنها بوسائل أسلوبية مميزة ، وغالباً ما يمكن إيجاد علاقة ثابتة بين بعض هذه الوسائل وبين غرض معين من الأغراض " (١).

وشعر على محمود طه خير دليل على صدقه العاطفى إذ نراه يعبر بالشعر عن تجاربه بصدق ووضوح لا مثيل له ، لايخجل من التعبيرعن مشاعره ، فإذا بكى على البعد قال وأنَّ أنين المذبوح ، وإذا فرح بقرب الحبيب أخبرنا بذلك وإذا استشرف النصر هلل له وملأ قصيدته فرحاً وسعادة ، وقد استطاع أن يشاركنا فى كل تجاربه، وأن ينقلنا إلى عالمه الخاص ،ويقنعنا بصدق ما يكتب وما يعبر ، فإذا كان الشاعر الحق هو الذى يستطيع أن ينقل قارئه إلى جوه الذى يعيشه فإن على محمود طه لديه قدرة غريبة وعجيبة على ذلك ، ويعتمد على إقناع القارىء بصدق التجربة ، والإقناع قوة خاصة فى شعره ، بحيث يجعلك متابعاً له مقتنعاً برأيه مؤمناً به فشاعرنا شاعر قومى تفاعل مع قضايا أمته لأنه يدرك ماهية الشعر ووظيفته .

فالشعر عنده هو النافذة التى أطل منها على الحياة ، بل هو الهواء الذى يتنفسه ، بل هو البلسم الشافى الذى داوى به جراح نفسه عندما عز الدواء.

على هذا وبعد أن عرضنا لبعض شعر على محمود طه فى الأعلام فى عصره وفيما سبقه من بعض العصور فى كل المجالات فالدراسة الفنية تحتم علينا أن نحلل بعض الملامح الأسلوبية واللفظية المميزة لشعره فيها فدراسة لغة الشاعرالمرتبطة بهذا الجانب من شعره توحى بأنه استخدم ألفاظاً وتراكيب لفظية ذات دلالات متنوعة ، تختلف بإختلاف أحاسيسه وعواطفه ومواقفه ، وأول ما يستوقفنا هو استخدام الشاعر لألفاظ ذات طابع قومى تملؤه مشاعر فياضه توحى بعاطفة حقيقية غير تقليدية من ذلك قوله فى استقبال بطل الريف " محمد عبد الكريم الخطابى " البطل المغربى الذى قاد حروب الريف من قصيدته التى مطلعها:-

لا السيفُ قَرَّ ولا المحارِبُ عادَا ... وَيْحَ البشيرِ! بأيِّ سلْمٍ نادَى؟

الأرضُ من أجسادِ من قُتِلوا بها ... تَجْني العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا

فاضَ السحابُ لها دَمًا — مُذْ شَيَّعت ... شمسَ النهارِ — فخالطتْهُ سَوادَا

رأتِ الحِدادَ به على أحيائها ... أتُراهمو صَبَغوا السماءَ حِدادَا؟ (٢)

---

١) اللغة والدلالة فى الشعر – د / على عزت صـ ٩

٢) ديوان على محمود طه ـــ مكتبة جزيرة الورد صـ ٤٢٦.

فهذه أبيات من قصيدته بطل الريف التى قالها فى المجاهد محمد عبدالكريم الخطابى ، وقد اختار الشاعر ألفاظه بعناية تتناسب مع الجو العام للقصيدة إذ أنه يتحدث عن الحرب وآلاتها والمستعمر الذى لا عهد له ، ولا ميثاق فالحرية والمجد لن تنال إلا بعد مشقة وركوب الأخطار ومعاناة الأهوال واحتمال المشاق .

لذلك وجدناه يختار ألفاظه :- السيف – المحارب – السلم – قتلوا – دماً – حداداً .

فالموقف هنا موقف حديث عن الحرب مع المستعمر الغاصب ، فجاءت ألفاظه معبرة عن ذلك ، قد اختارها الشاعر فعبرت عن احساسه فى وضوح وسهولة ، ومن هنا فاللغة لا ترمز إلى أفكار فحسب ، وإنما أيضاً كشفت عن عواطف " فهى النظام الذى يحلل القيم العاطفية ، وعندما تظهر الوقائع التعبيرية محدودة وشخصية تتعين لنا ملامحها العاطفية" (٢١) .

– إذن لشعر على محمود طه ملامح وسمات معينة تميزه عن شعر غيره من الشعراء مع أنه شاعر رومانسى يتبع أصحاب هذا المذهب الإبداعى العاطفى وينسج على منوالهم ،إلا أن شعره جاء ذاتيا صرفاً ، يصور فيه مشاعره وعواطفه الخاصة ، وهو فى ذلك مثل كل الرومانسيين ـــ إلا أن لشعره ما يميزه عن شعر غيره ويسمه ويطبعه بطابعه الخاص به عن غيره ،ويدور معظم شعر فى الأعلام عن ما حل بهم من نفى وحروب رافضاً لبعض سلوكيات المستعمر ومنددا بها ، نجد ذلك ماثلاً فى قوله منددا بفكر الاستعمار حيال الأمة العربية :-

وَدَّ الطُّغاةُ بكلِّ مَطْلَعِ كوكبٍ لو أطفئُوهُ وأسقطوهُ رَمَادَا

وتخوَّفُوا وَمْضَ الشهابِ إذا هَوَى وَبُروقَ كلِّ غمامةٍ تتهادَى

وَلَوَ انَّهم وَصَلُوا السماءَ بعِلْمِهِم ضَرَبوا على آفاقها الأَسْدَادَا

لولا لوامِعُ من نُهًى وَبَصائرٍ تَغْزُو كُهوفًا أو تَؤُمُّ وهادَا

لم يَرْقَ عقْلٌ أو تَرِقَّ سريرةٌ وقضى الوجودُ ضلالةً وفسادَا

راعَ الطُّغاةَ شُعَاعُهُ فتساءَلوا مَنْ نَصَّ هذا الكَوْكَبَ الوَقَّادَا؟

إنْ تَجْهَلوا فسَلُوا به آباءَكُم أَيَّامَ شَعَّ عدالةً ورِغادَا

هل أبصروا حُرِّيَّةً إلَّا بهِ أو شيَّدوا لحضارةٍ أَوْتادَا

حَمَلَتْ سَناهُ لهم يَدٌ عربيَّةٌ تبني الشعوبَ وتنسجُ الآبادَا

هي أُمَّةٌ بالأمس شادتْ دَوْلَةً لا تعرفُ العُبْدانَ والأسيادَا

---

١) الأسلوبية علم وتاريخ – د/ سليمان العطار صـ ١٣٢ .

جُرْتُمْ عليها ظالمين بَعدِّكم وعَدِيدِكم تتخايلون عَتَادَا (١)

فالشاعر على محمود طه شاعر رقيق العاطفة ، قوى الإحساس ، غزير الشعور ، صادق العواطف ، يستوحى قلبه ، ويعبر عما يجول بخاطره وكذلك نجده يناسب بين ألفاظه وبين المناسبة التى يقول فيها ، فإن كانت عاطفته غائمة فى حديثه عن الخطابى نجد ألفاظه رقيقة راقية فرحة متهللة عندما تحدث عن عودة الزعيم سعد زغلول من المنفى وذلك بمناسبة الذكرى العشرين لوفاته نجده يقول :-

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

جاب البحارَ إليكمُ حتى إذا نَصَلَ الدُّجى ألقى عصا تسيارِهِ

هذا الذي قدر الإلهُ حياتَه ليُنقِّل التاريخ في أدوارِهِ

الأعزلُ المنفيُّ فارق قيدَه ورمى بآسره وذل إسارِهِ

عجبًا يُخافُ مطارَدٌ بجزيرةٍ ضرب الوجودُ بها وراءَ بحارِهِ (٢)

فنجد الشاعر قد اختار ألفاظه بعناية تتناسب مع جلال الموقف ، وهو عودة الزعيم سعد زغلول من منفاه ، وما عم القطر المصرى والأقطار العربية بفرحة من هذا العو الحميد ، فنجد ألفاظه سهلة متهادية تصور ذلك الحدث العظيم المكلل بالنصر ، نجد ذلك فى قوله :- ردوا على الوادى - ربيع نهاره - آب الزعيم - ألقى عصا تسياره - فارق قيده - رمى بآسره - ذل إساره .

فبالنظر إلى ألفاظه المعبرة عن هذين الموقفين يجدر بنا أن نقول أن شعر على محمود طه قد حوى ظاهرتين أو تيارين نفسيين .

التيار الأول : هو تيار يظهر فيه القلق والحيرة والغربة النفسية والاضطراب عندما كان يتحدث عن المستعمر والحرب والنفى.

التيار الثانى : - السعادة فلقد كانت السعادة تغمر حنايا نفسه عندما تحدث عن عودة الزعيم سعد زغلول منتصراً رافعا راية السلام ، فوجدنا الجمال يشع من ذات الشاعر وعالمه الداخلى الذى انعكس على الطبيعة من حوله فوجد الأحلام وردية والليل مشرق باسم .

---

١) ديوان على محمود طه ـــ مكتبة جزيرة الورد صـ ٤٢٦.

٢) ديوان على محمود طه ـ جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ٣٣٤

ومعجم الشاعر معجم ثرى يزخر بالألفاظ التى تكشف عن حالته النفسية فى شعر المناسبات أولاً ، ودائما ألفاظه مستوحاه من هذه الحالة ومن الممدوح أو المرثى ، فتأتى ألفاظه مناسبة لمن يتوجه إليه بعمله الإبداعى ، فمثلاً فى قصيدة حافظ والتى مطلعها :-

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيهبٌ مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبٌ

نجد الفاظه مختارة بعناية فائقة مثل :-

نجم – كوكب – مصباح – نغمات – الحب – الجمال – عاطفى – الخيال – ترقص – تطرب مما يوحى للمتلقى بأن هذه الألفاظ مستوحاه من حياة من توجه له بالعمل الابداعى فى قصيدته التى مطلعها :-

هَجَرَ الأرضَ حين مَلَّ مقامَهْ وطوى العمرَ حيرةً وسآمَهْ

ويؤكد ذلك أنه حين تحدث عن شوقى جاء بألفاظ كذلك مستوحاه من حياته وعالمه الخاص مثل :-

هجر – ملَّ – حيرة – سآمة – الحب – الجمال – المدامة – الإلهام – اللحن – الانسجام – الأوتار – الجراح – المستهام – آوام – الصادح – الطروب – الشادى – الكرّمة اشارة إلى كرمة بن هانئ .

وكذلك ناسب بين الممدوح وبين ما أبدعه فيه فمثلا فى قصيدته" صدى الوحى" والتى قالها فى تكريم " الأديب محمد حسين هيكل " نجده يأتى بألفاظ تتناسب مع شخصه وفنه فى قصيدته التى مطلعها :-

بيانُكَ من نبعِ الجمالِ المخلَّدِ صدى الوحيِ في أسلوبِهِ المتجدِّدِ

مثل :- بيانك – نبع الجمال المخلد – لحنه – الحب – الربيع – المغرد – ترنم – شادٍ – تراتيل – جلال – روعة – رقة – تودد – سناها .

وكذلك وجدناه عند "إبرهيم ناجى" يوائم بين ما عليه الممدوح وما يجب أن يختار له من ألفاظ ، نجد ذلك ما ثلاً فى قصيدته المسماه " الشاعر" والتى قالها فى تكريمه فى حفل أقيم له بمناسبة تعيينه مديراً بالقسم الطبى بوزارة الأوقاف ، وناجى شاعر لم تخف حياته على أحد من المهتمين بالأدب من القلق النفسى والألم والسأم فاختار فى تكريمه ألفاظ تتواءم معه وهو ذلك العبقرى الذى يحلق فى السماء مفكراً ومناجياً فى قصيدته التى مطلعها :-

عبقريٌّ من النَّغَمْ رَجْعُهُ الحبُّ والألَمْ

مثل :- عبقرىٌّ – النغم – رَجْعُهُ – الحب – الألم – النور – القمم – رفيف – الندى – نسيم – حفيف – صبابه – ثمل – الكرّم – السأم – أرقته – عبرات الندم – تضطرم – ذاهلاً – تائه – ذوَّب – برى – غرام .

وفى قصيدته "عودة المحارب" والتى قالها بمناسبة عودة البطل " فوزى القاوقجى" إلى أرض الوطن فاختار ألفاظه مناسبة لشخصية الممدوح وهو ذلك المحارب البطل فى قصيدته والتى مطلعها :-

أتدري الريحُ من ملكتْ زمامَهْ تَشقُّ الغربَ أو تطْوي ظلامَهْ؟

فاختار له ألفاظ تتناسب مع البطولة مثل :-

تألق – أمجاد – ومحترب – أبطال – عُرامه – الشهامة – الكرامة – زمامه – خشونة – عزمه – حُسامه – قواضبها – مضاربها – هُمام – منايا – دماً – الحرب – الكمىُّ – الليث – زئير – وثب الخيل – الردى – الهيجاء – مستضام – لهيب – ضرام – جريحاً – احتشاد – الكتائب – جراح – أهوال – بطش – صوارم .

وبهذا يكون " على محمود طه " يناسب بين ألفاظه وبين من قيلت فيه ليؤكد أنه شاعر يعتنى بألفاظه عناية فائقة .

المحور الثانى

الأسلوب عند على محمود طه وأثره فى تكوين معالم الشخصية

لكل شاعر أسلوب يميزه عن غيره من الشعراء ، فعلى محمود طه وإن كان من جماعة أبولو من أصحاب الاتجاه الرومانسى إلا أننا ندرك أنه كان صاحب أسلوب متميز ، طالما عكس أسلوبه هذا شخصيته وبلور عاطفته ، إلا أننا مع ذلك نقع فيه على سمات قد لا نجدها عند شاعر سواه ، وليس يعنى ذلك أنه يفارق الشعراء كافة ،وإنما يعنى أن له طريقة فى نظم لغته تضمن له بعض الاستقلال ، ولو وقفنا عند أسلوب على محمود طه لوجدناه سهلاً معبراً موحياً لم يستطع أمامه الدكتور طه حسين إلا أن يقول :- " إنه حلو الأسلوب جزل اللفظ ، جيد اختيار الكلام وأن لألفاظه ومعانيه رونقاً أخَّاذاً تألفه النفس وتكلف به وتستزيد منه ، وأن فى شعره موسيقى ، قلما تظفر بها فى شعر كثير من شعرائنا المُحدثين وأنه استطاع أن يلائم إلى حد بعيد ، لا بين جمال اللفظ وجمال المعنى فحسب بل بين التجديد والاحتفاظ باللغة فى جمالها وروائها وبهجتها وجزالتها " (١).

والدكتور شوقى ضيف وهو بصدد الحديث عن لغة وأسلوب على محمود طه نراه يقول : " كان يقرأ كثيراً فى مجلة أبولو وما بها من أبحاث أدبية وكان يؤمن بشخصيته أتاح له هذا الإيمان أن يحتل مكانة بارزة فى صفوف الشعراء الذين عاصروه ، إذ استطاع أن يكوِّن لنفسه أسلوباً براقاً ، وهو من هذه الناحية أكثر شعرائنا بعد شوقى توفيقاً فى صيغته الشعرية وكأنما كانت لديه خبرة تُمكنه من أن يقتنص الكلمات الشعرية فى القصيدة التى يصنعها ، فإذا هى كعقد من الجواهر تتآلف فيه حباته ، فما عليه إلا أن يطلق كلماته فى تجربة تسمى قصيدة ، فإذا هى كالشِّباكِ السحرية تصيد له المعجبين من كل مكان " (٢) .

وإذا كانت هناك ملامح عامة تسيطر على أسلوب الأدباء بصفة عامة فى عصر من العصور ، فإن ذلك لا يعفيهم من الاعتماد على أنفسهم لإظهار شخصيتهم فى أسلوبهم وعلى هذا فمن الصحيح أن يقال إن للأسلوب صفات عامة تحقق له الكمال ، وسمات خاصة تميز أديبنا عن آخر ، وهو ما يطلق عليه إخلاص الأديب لأدبه وفنه ، لذلك وجدنا الأستاذ الأديب والناقد (أحمد الشايب) يقول : " الإخلاص فى تصوير ما فى النفس من فكرة واضحة أو عاطفة صادقة تجعل الأسلوب مقبولاً ويصبح من ثَمَّ مرآة العقل والخلق والمزاج والتخيل سواء أكانت تلك جميلة أو قبيحة ، مستقيمة أم مضطربة " (٣) .

---

١) حديث الأربعاء – جـ٣ صـ ١٤٧ د/ طه حسين .

٢) الأدب العربى المعاصر فى مصر – د/ شوقى ضيف – دار المعارف صـ ١٦٣، ١٦٤ .

٣) الأسلوب أحمد الشايب – المطبعة الفاروقية بالاسكندرية صـ ١٧٥ .

وأهم ما يميز أسلوب على محمود طه فى شعره عامة الوضوح وعدم الإبهام لأنه فهم رسالة الشعر ، وأيقن أن وضوح الأسلوب دليل على وضوح الفكرة لديه ، وقد كان الشاعر قادراً على التصرف فى تراكيبه وإحكامها .

وكذلك من سمات شعر على محمود طه التى كان يعتمدها فى أسلوبه القوة ، وكذلك سمة الجمال ، فالجمال صفة ملازمة للأسلوب الشعرى بوجه عام طالما أن الشاعر معنىٌ بإثارة القراء وتحريك مشاعرهم نجد ذلك ماثلاً فى معظم شعره ولو عمدنا إلى بعض أبيات من شعره لنستنطقها لكانت خير شاهد على ما نقوله من ذلك قوله فى قصيدته فى سعد زغلول والتى يتحدث فيها عن تاريخه المشرف الذى أضاف للتاريخ تاريخاً وإلى سيرته التى هى صفحة من المجد نجده يقول :-

سِيَرٌ من الأمجاد لم يُسْمَعْ بها ... حتى أُتِحْنَ فكنَّ من أخبارِهِ

تلك البطولةُ لم تكن يومًا ولم ... يطلعْ بها زمنٌ على حُضَّارِهِ

قم حدِّثِ التاريخ غير مُكَذَّبٍ ... يا منْ غدا التاريخُ مِن آثارِهِ

أنت المصاولُ عن حماك فصِفْ لنا ... حربَ الفدائيين من أنصارِهِ

والأرضُ كيف تَصُدُّ عن رحمائها ... والكونُ كيف يضيق عن أحرارِهِ

والغاصبُ السَّفَّاحُ من أنيابه ... يجري الدمُ القاني ومن أظفارِهِ

يا من شَدَوْتُمْ بالسلام رويدكم ... داودُ» لما يَشْدُ في مزمارِهِ

تحت الرَّماد وميضُ نارٍ، فالدجى ... والبرقُ، بعضُ دخانه وشرارِهِ

رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا ... أنَّ المآمنَ هن من أخطارِهِ

حمل البشيرُ قميصَهُ بيمينِهِ ... ودمُ الجنايةِ صارخٌ بيسارِهِ

هذا ضياءُ العدل بدَّد ظلمهم ... كالليل بدَّدهُ الضُّحَى بمنارِهِ

سعدٌ أهلَّ بهِ وسعدٌ جاءكم ... بالحق أبلَج في سماءِ ديارِهِ

فاستقبلوه كعهدكم وتَخَيَّروا ... لجبينه العالي مُضَفَّرَ غارِهِ (١)

---

(١) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ٤٣٥

ففى هذه الأبيات نجد الوضوح ماثلاً تحدوه القوة مسحوبة بالجمال الذى يعلوها الإثارة للمتلقى وجعله مشاركاً له فيما رآه .

ولعلى محمود طه أسلوب آخر حين نجده يعمد إلى الحوار بينه وبين أحد شخوص قصته الشعرية فيتوجه بالحوار إلى المستعمر الغاصب الذى يتفوه بالسلام وما أبعده عنه ، وكذلك يدير حواراً بينه وبين سعد زغلول موصياً إياه أن ينسى أذى من آذاه ويترك أمره لخالقه يصور ذلك فيقول :-

يا من شَدَوْتُمْ بالسلام رويدكم ... داودُ لما يَشْدُ في مزمارِهِ

تحت الرَّماد وميضُ نارٍ، فالدجى ... والبرقُ، بعضُ دخانه وشرارِهِ

رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا ... أنَّ المآمنَ هن من أخطارِهِ

حمل البشيرُ قميصَهُ بيمينِهِ ... ودمُ الجنايةِ صارخٌ بيسارِهِ

هذا ضياءُ العدل بدَّد ظلمهم ... كالليل بدَّدهُ الضُّحَى بمنارِهِ

سعدٌ أهلَّ بهِ وسعدٌ جاءكم ... بالحق أبلَج في سماءِ ديارِهِ

فاستقبلوه كعهدكم وتَخَيَّروا ... لجبينه العالي مُضَفَّرَ غارِهِ

قالوا: نُفِيتَ! فهل نفى عنك الهوى ... ظُلَمٌ سُقِيتَ الأمس كأْسَ عقارِهِ

لا تَلْحَ من كفروا بدعوتك التي ... وضَحَتْ وخلِّ أذى المسيءِ ودارِه

آثامُهم فَزِعَتْ بخالقهم فَدَعْ ... للهِ حكمَ اللهِ في كفَّارِهِ (١)

- وكذلك من أساليب "على محمود طه" الذى يعتمد عليها فى تصوير عواطفه ورسم مشاعره " التكرار " نجد ذلك ماثلاً فى شعره فى الأعلام وفى شعره فى غير الأعلام ، فمثلاً فى شعره فى الأعلام نجدها فى قصيدته فى سعد زغلول "فى صفوف المجاهدين" فنجده يبدأ المقطع بقوله : -

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره ... آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

وبعد خمسة عشر بيتاً نجده يكرر لفظ رُدُّوا فيقول : -

رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا ... أنَّ المآمنَ هن من أخطارِهِ

وكذلك فى قصيدته "من الأعماق" قوله :-

---

١) ديوان على محمود طه – جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩ صـ ٤٣٥ .

يا شرقُ يا شرقُ لا تخدعْكَ دعوتُهم واقبض يدًا، فحديثُ الحقِّ أوهامُ

وكذلك قوله :-

يا شرقُ سَلْ «بالحسينيِّ» الذي صنعوا واسمعْ لحقِّكَ، لا يَخْدَعْكَ هدَّامُ

على أية حال فإن الديوان زاخر بمثل هذه الأساليب وبهذا تكون ألفاظ الشاعر وأساليبه قد جاءت فى مجملها ناصعة نقة ، واضحة قوية ، يعلوها الجمال ، موحية مؤثرة ، معبرة عن خواطره ومشاعره دون تكلف أو عناء ، وقد وظفها الشاعر توظيفاً فنياً رائعاً لتؤدى دورها فى خدمة المعنى وإثراء التجربة الشعرية .

- وكذلك من الأساليب التى يؤثرها "على محمود طه" فى شعره فى الأعلام أسلوب" الأمر" ففى قصيدة حافظ نجده يكثر من استخدام الأمر من ذلك مثلاً نجد قوله :-

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيهبٌ مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبٌ

وكذلك استخدامه للأمر فى قوله :-

فابحثوا في شعابها عن مقيلٍ وانشدوا من منافِذِ النَّجم مهربٌ

وقوله :-

فاذكروه على الليالي إذا ما زحمَ الدهرُ ركنكم وتألَّبْ

وكذلك قوله :-

قُمْ وشاهد مآتمَ الشرقِ وانظرْ كيف يُبكى البيانُ فيك ويُندبْ

وفى قصيدة " شوقى" نجده أيضاً يعمد إلى الأمر كأسلوب يؤثره فى ابداعه من ذلك قوله :-

فاهتفوا باسمه فما مات، لكنْ آثرَ اليومَ في السماءِ مُقامَهْ!

وكذلك قوله :-

فاذكروا شدوَهُ بكل صباحٍ وارقُبُوا من خياله إلمامَهْ

وكذلك قوله :-

فامسحي الدمعَ وابسمي للمنايا إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامَهْ!!

وكذلك قوله :-

فأعِدْ عهدَه وأحي لياليـ ـهِ وجدِّدْ، على المدى، أيَّامَهْ

وكذلك قوله :-

فاذكروا نهضةَ البيان بأرضٍ أطلعتْ في سمائِهَا أعلامَهْ

وكذلك في قصيدته "في صفوف المجاهدين" نجده يؤثر أسلوب الأمر في مثل قوله :-

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

وكذلك قوله :-

قم حدِّثِ التاريخ غير مُكَذَّبٍ يا منْ غدا التاريخُ مِن آثارِهِ

وكذلك قوله :-

رُدُّوا السلامَ إلى الحوادث تشهدوا أنَّ المآمنَ هن من أخطارِهِ

وكذلك قوله :-

فاستقبلوه كعهدكم وتَخَيَّروا لجبينه العالي مُضَفَّرَ غارِهِ

- ومن الأساليب التي يؤثرها "على محمود طه" في ابداعه "النداء" نجد ذلك ماثلاً في معظم قصائده من ذلك قوله في قصيدة "حافظ " :-

يا سماءَ الخيال ما كلُّ يومٍ من بني الشعر تظفرينَ بكوكبْ

وكذلك قوله :-

بؤساءَ الحياة من لكمُ اليو مَ على الحادثات، والعيشُ أخطبْ

وهذا نداء حذف حرف ندائه .

وفي قصيدة " من الأعماق" نجده يستخدم النداء أيضاً مما يدل على اعتماده عليه كأسلوب يعمل على اثراء تجربته الشعرية مثل قوله :-

يا شرقُ يا شرقُ لا تخدعْكَ دعوتُهم واقبض يدًا، فحديثُ الحقِّ أوهامُ

وكذلك قوله :-

يا شرقُ سَلْ «بالحسينيِّ» الذي صنعوا واسمعْ لحقِّكَ، لا يَخْدَعْكَ هدَّامُ

وكذلك قوله :-

يا أيها البطل الصنديدُ جِئْتَ بما تحدثتْ عنه أدهارٌ وأقوامُ

وكذلك قوله :-

وأنت يا أيُّها الفادي عُرُوبَتهُ اِسلَمْ فديتكَ، لا غَبنٌ ولا ذامُ

أما فى قصيدته "عودة المحارب" نجده يعتمد كذلك على النداء كأسلوب يسهم فى اثراء التجربة من ذلك قوله :-

أخا الهيجاءِ كيف شَهِدْتَ حَرْبًا يُذكِّرُ هولُها يومَ القيامَهْ

وهذا نداء حذف حرف ندائه والتقدير يا أخا الهيجاء

وكذلك قوله :-

أخا الصَّبَواتِ هل شَفَتِ الليالي جراحَ القلب أو رَوَّتْ أُوامهْ؟

وهذا نداء حذف حرف ندائه والتقدير يا أخا الصَّبوات.

وكذلك من استخدامه للنداء من قصيدة " بطل الريف" مثل قوله :-

شيخَ الفوارسِ حَسِّبُ عَيْنِك أن ترى هذي الفتوحَ وهذه الأَمجادا

وهذا نداء حذف حرف ندائه والتقدير يا شيخَ الفوارسِ .

وكذلك قوله :-

عبدَ الكريم انْظُرْ حِيالك هل ترى إلَّا صراعًا قائمًا وجهادا

وهذا نداء حذف حرف ندائه والتقدير ياعبدَ الكريم انْظُر .

- ومن الأساليب التى اعتمد عليها "على محمود طه" فى ابداعه "الإستفهام" من ذلك قوله من قصيدة "حافظ" :-

مَنْ لصرعى الهمومِ بعدَك يا حا فظُ، مَنْ للحزينِ؟ مَنْ للمعذَّبْ؟

وكذلك قوله من قصيدة "شوقى" :-

ما الذي شاقه إلى عالم الرو حِ؟ أَجَلْ تلك روحه المستهامَهْ!

ما لَهُ والزمانُ مصغٍ إليه رَدَّ أوتارَه وحَطَّمَ جامَهْ؟

حدَّثتني الرياضُ عنه صباحًا ما لصدَّاحِها جفا أنغامَهْ؟

وتسمعتُ للغدير يُنَادِي ما الذي عاق طيرَه وحيامَهْ؟

وكذلك قوله من قصيدة "من الأعماق" :-

أفي دفاعكَ عن أهلٍ وعن وطنٍ غدرٌ؟ إذنْ فجهادُ الظلم إجرامُ!

سلِّمْ عن الشَّرف الموعود كم غدروا به؟ كم اجْتُرِحَتْ في السلم آثامُ

وكذلك من قصيدته "عودة المحارب" نجده يعتمد على الإستفهام مثل قوله :-

أتدري الريحُ من ملكتْ زمامَهْ تَشقُّ الغربَ أو تطْوي ظلامَهْ؟

أتهدأ وهي في الغَمرات تأسو جريحًا؟ أو تشدُّ لهُ ضمامَهْ؟

ومفتيها الأمينُ ومفتديها وراءَ تخومها يَشكو هيامَهْ؟

أخا الصَّبَواتِ هل شَفَتِ الليالي جراحَ القلب أو رَوَّتْ أُوامهْ؟

وكذلك من اعتماده على الإستفهام في قصيدة " بطل الريف " قوله :-

لا السيفُ قَرَّ ولا المحارِبُ عادَا وَيْحَ البشيرِ! بأيِّ سلْمٍ نادَى؟

رأتِ الحِدادَ به على أحيائها أتُراهمو صَبَغوا السماءَ حِدادَا؟

راعَ الطُّغاةَ شُعَاعُهُ فتساءَلوا مَنْ نَصَّ هذا الكَوْكَبَ الوَقَّادَا؟

وكذلك من اعتماده على الإستفهام في قصيدة " صدى الوحى" قوله :-

مُحَمَّدُ، ما شعري إليكَ وما يدي؟ وما الشعر من إبداعِكَ المتعدِّدِ؟

- ومن الأساليب التى اعتمد عليها "على محمود طه " في عمله الابداعى أسلوب "التعجب" من ذلك قوله في قصيدة " من الأعماق " :-

أكان غيرَ عيونِ الزَّيتِ دافقةً من قلبكَ الغضِّ يُجريهن سجَّامُ

أكُنْتَ غيرَ الفِدا في غير تضحيةٍ إن همّ عليكَ بسربٍ للرَّدى حاموا

فهو يتعجب من حال الغرب في عداوتهم للشرق وأسباب ذلك العداء .

وكذلك نجد التعجب ماثلاً في قصيدة " عودة المحارب" من ذلك قوله :-

أخا الهيجاءِ كيف شَهِدْتَ حَرْبًا يُذكِّرُ هولُها يومَ القيامَهْ

وكذلك فى قصيدة " بطل الريف " نجده يعمد إلى التعجب من ذلك قوله :-

الأرضُ من أجسادِ من قُتِلوا بها تَجْنِي العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا

وكذلك فى قصيدة " من الأعماق " نجده يعمد إلى التعجب من ذلك قوله :-

ظنُّوكَ أُقْصِيتَ عنها فهي نائمةٌ وكيف! هل في ربوع القدس نُوَّامُ!

أفي دفاعكَ عن أهلٍ وعن وطنٍ غدرٌ؟ إذنٌ فجهادُ الظلم إجرامُ!

وكذلك نجد "على محمود طه" يستخدم التشبيه كأسلوب يعمل على اثراء تجربته الشعرية من ذلك قوله فى قصيدة "من الأعماق" :-

حَيَّتْكَ في الشرق آمالٌ وأحلامُ وقبَّلتْكَ جراحاتٌ وآلامُ

واستقبلتك على الوادي وضِفَّتِهِ عروبةٌ وَثَبَتْ فَرْحَى وإسلامُ

فقد شبه الآمال والأحلام والجراحات والآلام والعروبة والإسلام بمن يعقل .

وكذلك أكثر على محمود طه من استخدامه لعناصر الطبيعة من أرضها – وسمائها – ونجومها – وسحابها – وشمسها – وباقى عناصر الطبيعة ما عمل على اثراء تجاربه ، من ذلك قوله فى قصيدة "بطل الريف" :-

الأرضُ من أجسادِ من قُتِلوا بها تَجْنِي العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا

فاض السحابُ لها دَمًا — مُذْ شَيَّعت شمسَ النهارِ — فخالطتْهُ سَوادَا

رأتِ الحِدادَ به على أحيائها أتُراهمو صَبَغوا السماءَ حِدادَا؟

المحور الثالث

المعانى والأفكار عند على محمود طه ودورهما فى تجسيد معالم الشخصية

إذا كانت الألفاظ والأساليب هى الوعاء الذى يصب فيه الشاعر تجربته فإن المعانى والأفكار تعمل على إبراز وتمثيل رؤى الشاعر الفكرية وخواطره النفسية فإن الأفكار والمعانى تعمل على إبراز وتمثيل رؤى الشاعر الفكرية وخواطره النفسية وهذه الأفكار والمعانى متفاوته فى شعر الشاعر من حيث القوة والضعف ، رقة ومتانة ، وضوحاً وغموضاً حسب قوة شعوره أو فتوره ، وصدق تجربته أو زيفها ، وبالتدقيق وإنعام النظر فى شعر على محمود طه نجد أفكاره ومعانيه قريبة المأتى، وا ضحة القصد ، بعيدة عن التكلف والغموض إن دل ذلك على شىء ، فإنما يدل على صدقاً شعورياً ، وعاطفة جيا شة ، و شعور دافق ، وتجربة فنية صادقة ، كل هذه العناصر أنتجت لنا صدق شعرى فيه و ضوح الفكرة التى تسهل فى فهمها على المتلقى لأن الشاعر امتاح معانيه وأفكاره من واقعه الذاتى العاطفى و الشعورى ، وهو فيها بعيد كل البعد عن الإغراب والتغريب ، لأنه فهم رسالة الشعر وماهيته ، فأما ماهية الشعر عنده أن الشعر لون من الحكمة ينبلج به الحالك ، ويهتدى بدليله السالك وخير الكلام ما ائتلفت ألفاظه ، وائتلفت معانيه وكان قريب المأخذ بعيد المرمى ، سلياً من وصمة التكلف ، غنياً عن مراجعة الفكرة .

وأما عن رسالة الشعر عنده فهى أن الشعر له وقع على النفوس كم به أنست وكم به شفيت قلوب فإذا استطاع الشاعر نقل ما ألم به من أحداث وحوادث فى فكرة واضحة غير مبهمة أحدث ذلك الأثر فى نفس المتلقى فكان الدواء الناجع فى ثوب جميل إن ألمّ بالمتلقى مثل ما ألمّ بالشاعر .

وأول ما يطالعنا من آراء فى معانى على محمود طه رأى الدكتور شوقى ضيف فى كتاب " دراسات فى الشعر العربى المعاصر " إذ يتهمه بالقصور فى أفكاره ومعانيه وخوائها من التجربة الشعورية ، والاهتمام بالألفاظ فحسب فنراه يقول : على محمود طه على هذا النحو يُركز اهتمامه فى شعره على الألفاظ والأصوات والألحان ، إذ يعتمد اعتماداً شديداً على الانفعالات الموسيقية وما تثيره فى نفوس القراء وكأنه فهم أن الشعر حلقات من الذبذبات الصوتية ، وليس من الضرورى أن يسند هذه الذبذبات إلى معان عميقة أو حوافز نفسية دقيقة ، ولعل ذلك ما جعل شعره يخلو من التجربة النفسية بمعناها الصحيح ، فقد عاش معيشة لفظية فى شعره ، وخدعته هذه المعيشة بألحانها عن نفسه ، فاستسلم لها ولأمواجها ، حتى أنسته حقائقه العاطفية والعقلية ، ومن هنا كنت تشعر إزاء كثير مما تقرأ له أنه لا يتعمق نفسه ولا قلبه إنما هى صور لفظية تترامى فى شعر " (١).

---

١) دراسات فى الشعر العربى المعاصر د/ شوقى ضيف – دار المعارف الطبعة السادسة سنة ١٩٧٦م صـ ٢٠١،٢٠٠ .

وفى الحقيقة هذا رأى الدكتور شوقى قد جانبه الصواب وجافاه لبعده عن الموضوعية ، لأننا نرى أن معانى الشاعر وأفكاره إذا كانت واضحة وقريبة من نفس الملتقى لا تعقيد فيها ولا غموض ، فهذا لا يتنافى مع كونها عميقة بالضرورة ، ولا يعنى أنه لا يصدر عن مشاعر نابضة وصادقة.

ومن الذين قاموا بالرد على الدكتور شوقى ضيف ، الدكتور سيد تقى الدين مدعِّماً رأيه برأى الأدباء والنقاد المعاصرين من أمثال توفيق الحكيم وسيد قطب ، ورأى على محمود طه وعبدالحميد حسن فقال :- إذا أردنا أن نبلور نقد الدكتور ضيف نراه ينحصر فى الآتى :

١- على طه شاعر غنى من حيث اللفظ فقير من حيث المعنى وتنقصة دقة المناطقة ،وتحديد الفلاسفة.

٢- على محمود طه شاعر ألفاظ ولذا تصعب ترجمة شعره .

أولا ماذا يريد الكاتب بكلمة المعنى ؟ وماذا يطلب من على طه كشاعر أن يقوله ؟

هل يطلب منه أن يصور الحياة تصويراً مباشراً فى جملتها وتفصيلها وجوهرها وتفكيرها تصويراً حقيقياً واقعياً ؟

إذا كان الأمر كذلك فإن هذه ليست مهمة الشعر فهو لا يرينا واقع الأشياء فى حقيقتها المادية فهذا من شأن العلم وما يجرى مجرى العلم من تاريخ وبحوث وتحقيق وإحصاء وتسجيل ، إن مهمة الشعر أن يطرق أبواب تفكيرنا ومشاعرنا ، وأن ينمى فينا ملكة التخيل والتأمل وأن يجعلنا نحيا حياتين : حياة الواقع الأرضى وحياة الفكر العلوى " (١) .

وعلى ذلك ففى الشعر معان وحقائق ولكنها معان وحقائق من نوع آخر غير الحقائق التى تُعْنى بها الفلاسفة : هى حقائق الإحساس الخفى التى قد يختلف فى تقديرها كل فرد عن الآخر ، وهذه ناحية يتميز بها التعبير الشعرى عن التعبير النثرى ، فالأول يريك جانباً من المعنى أو الصورة ثم يدع لذهنك أن يستلهم بقيتها ويترك لخيالك أن ينطلق فيكمل ذلك الجانب من الصورة ، حتى لا يأخذ خاطرك عن الطريق ، ولا يقف به أمام التعبير المسهب المبسوط ، وهذه ميزة الشعر على النثر ،

ولعل هذه الميزة مستمدة من طبيعة الشعر الذى يخاطب العاطفة المبهمة أكثر مما يخاطب الفكر المحدود العاطفة التى لا تعرف القيود ولا التحديد ، ولكنها تتوه فى كل وادٍ مع ملاحظة التناسق والالتئام ، وهذه

---

١) فن الأدب – توفيق الحكيم – المطبعة النموذجية بالقاهرة سنة ١٩٥٢ م صـ ٢١٠ .

العاطفة لا تقف جامدة عند التعابير المنفصلة التى تبسط كل جزئية لأنها تفقد وظيفتها وهى إدراك الغائب من الحاضر ، والتدرج من الجانب الظاهر إلى الجوانب المحجَّبة " (١) .

والذى يبدو أن الدكتور ضيف كان يقصد بالناحية المعنوية المعنى وما يتضمن من حقائق وما يثير من خيال ، ونحن لا نذكر صحة هذا القصد وإنما نضيف إليه ما يكمله .

ذلك أن الناحية المعنوية يجب أن تشمل فيما تشمل أثر الحقائق فى نفوسنا ، وما توقظه فينا من ذكريات وما عسى أن يحيط بالمعانى من هالات وجدانية فى نفس الكاتب أو القارىء أو السامع وصحيح أنه فى بعض الأحيان لا يكون للوجدان ظل يذكر ، ولكن على طه ليس من هذا البعض وشعره مشبع بالوجدانيات والعواطف .

كما أن من الناحية المعنوية يجب أن تشمل فيما تشمل المقصد أو الهدف الذى ترمى إليه ، فقد يرمى الشاعر إلى تصوير أفكاره والتعبير عما جال فى نفسه من المعانى ، وقد يرمى إلى إظهار وجدانه إزاء ما يفكر فيه وقد يقصد إلى اظها موقفه من القارىء أو السامع (٢) .

والقارىء لشعر على محمود طه يرى هذه الأهداف ، فمرة كان يقصد إلى التصوير ، وأخرى يقصد إلى إظهار وجدانه أو موقفه ، كأن يخاطب الضمير والوجدان .

فالذهن فى مثل هذا المجال ما هو إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة ، وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ولا أصدقها ولا أقربها طريقاً ، فالذهن الإنسانى خليق بأن يدع للمجهول حصته وأن يحسب له حسابه " (٣).

وهكذا كان يفهم على طه ويمثل هذا الرأى ويدين به أليس هو القائل ؟:- " المجهول أيها الشاعر أروع وأغلى ما تبحث عنه فى حيازتك من كنوز (٤) .

والألفاظ هى الأداة لكل هذا فهى الثياب التى تتجلى فيها المعانى أو هى الرموز لكل ذلك ، ومهما يكن للحقائق والمعانى والوجدان من شأن فإن للغة التى يصاغ فيها أثراً فى حسن الإبانة " وجمال اللغة يرجع إلى كل هذه النواحى ، وسحر البيان ينبع منها ، فالأدب فن موسيقى معنوى وجدانى سحرى (٥) . فلو أننا عمدنا إلى شعر على محمود طه ووقع اختيارنا على عمل له كالموسيقية العمياء إذ يقول فى مطلعها :-

إذا ما طافَ بالأرض شعاعُ الكوكبِ الفضِّي

---

١) مهمة الشاعر فى الحياة وشعر الجيل الحاضر – مطبعة الطلبة نصر سنة ١٩٣٢ م صـ٥٧ .
٢) على محمود طه حياته وشعره – السد تقى الدين السيد – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب صـ ٣٠٤ .
٣) التصوير الفنى فى القرآن الكريم – السيد قطب – دار المعارف سنة ١٩٥٦ م صـ ١٨٥ .
٤) أرواح شاردة – على محمود طه طبعة ١٩٤٢م صـ ٩٨ .
٥) الأصول الفنية للأدب – عبدالحميد حسن صـ ٥٣

إذ يقول في المقطع الثاني من القصيدة :-

زواها الدهرُ لم تسعَدْ من الإشراقِ باللمحِ

على جفنينِ ظمآنيـ ـنِ للأنداءِ والصبحِ

أمهدَ النورِ: ما لليـ ـلِ قد لفَّكَ في جُنَحِ؟

أضيءُ في خاطرِ الدنيا ووارِ سناكَ في جُرحِي![1]

إن الشاعر هنا أمام عيون تعيش في الظلام ، ثم هي قد أطبقت منها الجفون ، ثم مناجاته لتلك العيون بقوله ، أمهد النور أنه في موقف العزاء الإنساني بهذه الموسيقية العمياء ، وإذ به يفتح باب رجاء ، إن كانت الأرض قد ضاقت عن أن يشيع نورك فيها فأضيء في خواطري ولقد جرحت نفسي ومشاعري بسبب ما أنت عليه ، ففي هذا الجرح واري ضوءك وسناك.

أبعد هذا يقول أحد عن علي محمود طه أنه شاعر الأداء اللفظي ؟ لا بل هو الشاعر صاحب اللفظ الرشيق والأسلوب الجميل الأنيق والفكرة والمعنى العميق .

إذن لقد أيقن علي طه أن للشعر رسالة وماهية فعمل لهما ونظم شعره بهما ، فجاءت أشعاره بألفظ مناسبة لأغراض قوية في موطن القوة رقيقة في مواطن الرقة ، وكذلك أفكاره ومعانيه واضحة بعيدة عن الغموض والتكلف .

[1]) ديوان على محمود طه – مكتبة جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩م صـ٢٠٩ .

المحور الرابع

الصور الشعرية عند على محمود طه

وأثرها فى تجسيد معالم الشخصية

الـصورة الـشعرية مع غيرها من العناصر الـشعرية والفنية الأخرى ، تعمل على بناء القـصيدة بناءاً جوهرياً متكاملاً ، الصـورة عندئذ هى جوهر الشـعر وآداته فى الخلق والابتكار ، وتشـكيل موقف الشـاعر من الواقع وفق إدراكه الجمالى ، وفى حدود خروجه باللغة من إطارها المعجمى العام إلى السياق الشعرى الفنى ومن هنا تكتسب اللغة دلالات مجازية فى سياقها التاريخى والاجتماعى ، إذن فإن للصورة الشعرية أثرها فى وجدان المتلقى ، وإثارة انفعالاته ومشاعره وتقوية المعنى فى نفسه ، فالصورة الشعرية هى روح الشعر ونبضه وشريانه ولولاها ما سمى الشعر شعراً ولفقد أهم خصائص مقوماته التى تميزه عن النثر فالصـورة فى الشـعر هى " الشـكل الفنى الذى تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشـاعر فى سـياق بيانى خاص ليعبر عن جانب من جوانب تجربته " (١) .

أو هى فى معناها الجزئى والكلى هى الوسيلة الفنيـة لنقـل التجربـة الشـعرية ، أو هـى كـما قـال أحـد البـاحثين " هـى علاقـة ضـمنية أو صريحـة بـين تعبـيرين أو أكثـر تقـام بحيـث تضـفى عـلى أحـد التعـابير أو عـلى مجموعـة مـن التعبيرات لوناً من العاطفة ، ويكشف معناه التخيلى ولـيس معنـاه الحـرفى دائـماً ويـتم توجيهـه ويعـاد خلقـه إلى حـد مـا من خلال ارتباطه أو تطابقه مع التعبير أو التعبيرات الأخرى " (٢) .

وبهـذا يكـون اعـتماد الشـاعر عـلى الكلمـة أساسـا فى تصـوير مـا بداخلـه عـلى جميـع المسـتويات الطبيعيـة والاجتماعية والنفسية .

والصورة أيضاً بنت الخيـال ونبتـه ، فالخيـال هـو الـذى تنبثـق عنـه الصـور وبـه تتشـكل وتتناسـق وتتـآلف ولا تتعارض ، وارتبـاط الصـورة بالخيـال كارتبـاط الخيـال بالعاطفـة لهـذا وجـدنا الأسـتاذ أحمـد امـين يقـول :- " وكلـما كانت العاطفـة قويـة احتاجـت إلى خيـال قـوى يعـين عليهـا ، وضـعف أحـدهما يـؤثر تـأثيراً قويـاً فى ضـعف الآخـر ، فالعاطفة وقود الخيال والخيال وقود الصـورة ، والصـورة آداتهـا اللغـة ، واللغـة هـى ريشـة الفنـان وآداتـه الشـعرية فى رسم أبعاد الصورة ، ووسيلته إلى تنشيط الحواس وإلهابها " (٣) .

وليست الصورة شيئا جديداً فمنذ أن وجد الشـعر حتـى هـذا العصر ـ الـذى نحيـاه هـو قـائم عـلى الصـورة ، إذ فيها أكبر العون على تقدير الوحـدة الفنيـة وكشـف المعـانى العميقـة التـى ترمـز إليهـا القصـيدة فالصـورة تختلـف مـن شاعر إلى شاعر آخر مـن حيـث اسـتخدام الشـعراء لهـا كـما أن الشـعر الحـديث يختلـف عـن الشـعر القـديم فى طريقـة

---

١) الإتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر – دار النهضة العربية بيروت سنة ١٩٨١ م – د/ عبدالقادر القط صـ٣٩١ طـ٢

٢) الصورة والبناء الشعرى – د/ محمد حسن عبدالله صـ ٣٧ .

٣) النقد الأدبى – أحمد أمين صـ٣٧ .

استخدامه للصور ، فالشعراء قبل الإسلام كانت صورهم محسوسه منظورة كصور امرئ القيس في معلقته والتي مطلعها :-

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ (١)

ففي بيتيه الذي يقول فيهما :-

كأنَّ أباناً في أفانينِ ودقهِ كَبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ

كَأنَّ سِباعاً فيهِ غَرقى غُدَيَّةً بِأرجائِهِ القُصوى أَنابيشُ عَنصُلِ (٢)

والدكتور إحسان عباس في تأمله لهذه المعلقة نجده يُبهر بتصوير امرئ القيس الذي ظل وسيظل حياً ولا تقتصر حياته على عصره فقط ولكننا حين نقف عند تشبيه الجبل أبان بالشيخ المزمل بالبجاد فإننا نحس أن الصورة استطاعت أن تظل حية على مدى قرون كثيرة ، وقد استطاع الشاعر أن يمنح الحياة الطويلة لكل صورة من صوره " (٣).

ولا تقاس جودة الصورة من خلال ما تحتويه من مجازات ، وإنما المعيار الحقيقي للجودة هو قدرتها على الإشعاع وما تزخر به من إيحاءات .

وإذا كان شعراء ما قبل الإسلام كانت صورهم محسوسة منظورة فإن على محمود طه في تصور واقعه النفسي قد اعتمد على المحسوس المنظور أكثر من اعتماده على أي شيء آخر يقول أحد الباحثين " في شعر على محمود طه ظاهره لعله لم يفطن لها أول الأمر أحد ، فهو قد اعتمد في تصوير الواقع النفسي على حاسة النظر أكثر من اعتماده على سواها ، ولقد قَوَّت البيئة التي عاش فيها على محمود طه هذا الجانب التصويري من شاعريته ومهما يكن من شيء فإن التصوير عند على محمود طه هو الأداة المفضلة فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور ، وعن المشهد الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة ، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي ، وإذا الطبيعة مجسمة مرئية فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني واحالة النفسية ، وتشخص النموذج الإنساني ، أو الحادث المروي إنما هي الألفاظ لا الألوان المصورة ، ولا الشخوص المعبرة أدركنا سر الأداء الفني عند على طه ، فالتصوير

---

١) ديوان امرئ القيس صـ ٥٩ .
٢) ديوان امرئ القيس صـ ٦٣ .
٣) فن الشعر – د/ إحسان عباس صـ ٢٢١ .

الذى نعنيه تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون فى التمثيل " (١) .

وبهذا نستطيع أن نقرر مع من قرر أن على طه رسام بالكلمات يخلع على الصورة ظلاً من نفسه وخياله وتظهر فى صورة شخصية واضحة متميزة وذلك واضح فى جل شعره أما عن صوره فى الأعلام نجدها ماثلة شاخصة ومن الصور التى كان فيها على محمود طه بحق رسام بالكلمات ما نجده فى مطلع قصيدته والتى بعنوان " عودة المحارب " والتى قالها فى البطل " فوزى القاوقجى " إذ يقول :-

أتدري الريحُ من ملكتْ زمامَهْ تَشقُّ الغربَ أو تطْوي ظلامَهْ؟

هَفَتْ للشرق فاختلجتْ جناحًا بِه، واستقبلتْ لثمًا غمامَهْ!

وقِيلَ: دنا وحَوَّم، فاشرأبَّتْ ضفافُ النيل تستهدي حِيامَهْ

وعانقه الصباحُ على رُباها غضيضَ الطَّرفِ لم ينفضْ منامَهْ

يضيء بورده الأزليِّ أُفقًا تُظلِّله الرعايةُ والسلامَهْ

وواكَبَهُ على «سيناءَ» برقٌ بِعينِ الملهمين رنا فشامَهْ (٢)

انظر إليه فى بداية المطلع إذ يصور من الريح شخصاً عاقلا يخاطبه ويستحث عقله هل تدرى الريح من تحمل ومن تملك زمامه فقد هفت للشرق واختلجت جناحاه ، واستقبلته لثماً غمامته وجعل من ضفاف النيل منتظراً مشرئباً ينتظر قدومه وعانقته عناصر الطبيعة على ربى أرض مصر- فرحة بمقدمه ، وهذه الصورة تعد من أبرع صور الشعر العربى مما يدل على مقدرة على محمود طه فى التصوير الفنى المبدع الذى يجسم المحسوسات .

والشاعر متنوع فى صوره فتارة سريعة وأخرى بطيئة وتارة مشرقة وأخرى غائمة ، وصوره مجسدة للمواقف التى يريد أن يعبر عنها بألفاظه واساليبه ومعانيه وأفكاره .

فمن الصور الغائمة القاتمة التى مصدرها الحزن الشديد على الأديب الذى كان درعاً واقياً لمصر- وشعبها وفقرائها ولغة القرآن "حافظ إبراهيم " إذ يقول :-

فُجِعَتْ نهضةُ البلاد ببانٍ شدَّ من ركنها، وشادَ، وطنَّبْ

وحباها من شعرِه وحجاهُ ما أفادَ الجهادَ فخرًا وأكسبْ

---

١) راجع فى ذلك على محمود طه حياته وشعره – سيد تقى الدين السيد صـ ١٤١ .

٢) ديوان على محمود طه – مكتبة جزيرة الورد طبعة ٢٠٠٩م صـ٤١٨ .

هزَّ أشبالها الكماةَ وأحيا أملًا في صدورهم يتوثَّبْ

لو شهِدتم غداةَ ثورتها الكبرى لجَاجَ النفوسِ وهي تَلَهَّبْ

لرأيتم في ثورةِ النفسِ منه محنقًا من قساورِ الغيل مُغْضَبْ

لم يَزَلْ منه في المسامع صوتٌ تتوقَّى الظُّبَى صداهُ وترهبْ

نافذٌ في الصميم من باطلِ القو مِ كما ينفُذُ السِّنانُ المذرَّبْ

فهذه صورة توحى بالحزن الشديد لما حل بالأدب والأدباء من فجيعة على موت هذا الشاعر والأديب ، وهى صورة مغرقة فى الحزن .

ومن الصور المشرقة عند "على محمود طه" فى الأعلام تصويره لزيارة حدثت منه له على غير موعد فأخذ يصور حاله حال الصمت والليل مصغ ، وللريح حوله رفيف كهمس الروح فى ظل معبد ، وضوء المصباح خافت ، والأديب مسهد ، ويصور تحيته له همساً ، ومصافحته له فى رقة ، وفى كل هذا تصوير للحالة وتجسيد يوحى بعمق الفكر والتفكير عند الأديب "محمد حسين هيكل" .

ذكرتُ، وللذكرى حديثٌ مُحَبَّبٌ وقد زرته ليلًا، على غيرِ موعدِ

ولِلَّيلِ إصغاءٌ، وللريح حولَهُ رفيفٌ، كهمسِ الروحِ في ظلِّ معبدِ

وقد هدأ المصباحُ، إلَّا مجاجةً من النورِ، في عَيْنَيْ أديبٍ مُسهَّدِ

ترامى وراء الأفق حينًا، وتنثني ببارقةٍ من ذهنه المتوقِّدِ

فحيَّيتُه همسًا، فحيَّا، وصافحتْ يداهُ يدي في رقةٍ وتودُّدِ

وشاعَ جلالُ الصمت بيني وبينَهُ فأمعَنَ إمعانَ الخيالِ المشرَّدِ

وأمسيتُ أرعاهُ، فلاحت لخاطري ملائكُ بالنجوى تَروحُ وتغتدِي

وكذلك من الصور المليئة بالحركة التى توحى باضطراب الشاعر واضطراب مشاعره لمعايشته لحالة الحرب وما يجرى فيها قوله من قصيدة " فى صفوف المجاهدين " :-

أنت المصاولُ عن حماك فصِفْ لنا حربَ الفدائيين من أنصارِهِ

والأرضُ كيف تَصُدُّ عن رحمائها والكونُ كيف يضيق عن أحرارِهِ

والغاصبُ السَّفَّاحُ من أنيابه يجري الدمُ القاني ومن أظفارِهِ

وهذه صورة فنية جزئية غير متكاملة إذ أنها تصور البطل المحارب مع أنصاره الفدائيين ، والأرض كيف تحارب معهم ، والكون كيف يضيق عن أحراره ، وكذلك تصور الغاصب السفاح الذئ يجرئ الدم من بين أظفاره ، وقلنا أنها صورة جزئية غير متكاملة ، لأن الصورة الفنية المتكاملة لا تصاغ فئ قصيدة واحده تتحدث عن علم واحد من الأعلام ، لأن الصورة لا تكون متكاملة إلا إذا تحدثت عن قضية قومية ، والصورة المتكاملة تمس قضايا الإنسانية العامة كالحزن – الفرح – الحب – البغض – التأمل ، فالشاعر الذئ يصوغ قصائده حول هذه العواطف يضمن لها تفاعلاً من المتلقئ والجمهور .

إذا الصورة الفنية التئ تقال فئ علم واحد من الأعلام تعد فضيلة ، كالتئ قالها فئ تكريم صديقه الشاعر " إبراهيم ناجئ" ، والصور عنده تعكس بعض معانئ الفضيلة كقوله :-

تعصر الكرمَ راحتا ... هُ لها، وهي تبتسمْ

فشدا أوَّلَ الرعا ... ةِ بشبَّابة القِدَمْ

قبل أن يُسْعِدَ الغنا ... ءُ بها راعيَ الغنَمْ

المحور الخامس

الموسيقى عند على محمود طه

ودورها فى إثراء التجربة

صِيغ الشعر العربى منذ القدم فى كلام ذى توقيع موسيقى ووحدة فى النغم تشد من أزر المعنى ، وتجعله ينفذ إلى قلوب سامعيه ، وتوحى بما لا يستطيع القول دون موسيقى أن يوحى به ، والإنسان منذ نشأت الفنون يطرب للنغم حتى فى عصره الفطرى لهذا يقول ابن عبدربه :- " زعمت الفلاسفة أن النغم فضل يقى من المنطق لم يقدر الإنسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس وحنت إليه الروح ، لذلك قال أفلاطون : لا ينبغى أن تمنع النفس من مكاشفة بعضها بعضاً ، ألا ترى أهل الصناعات كلما خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان " (١) .

إن الموسيقى فى الشعر عنصر مهم لا ينبغى التقليل من شأنه ولا يقتصر دورها على الناحية الشكلية فحسب ، وإنما تؤدى موسيقى الشعر عملاً وظيفيا ، يتمثل فى ذلك الانسجام المقام بين المعانى والألفاظ ، وذلك الرنين المستحدث من توافق القوافى والأوزان ، مما يرقق الحس ، ويلطف النفس إذن هى " أداة توصيل جيدة لها دورها وأهميتها فى البناء الفنى للقصيدة " (٢) .

ومهمة الشعر الأساسية أنه يعمل على تحريك الوجدان وإثارة الشعور ، وبعث الإحساس بالجمال ، وفى سبيل ذلك فلابد له من عناصر مكونة له فى الصياغة ، ومن هذه العناصر عنصر الموسيقى الشعرية ، وقوام هذا العنصر أو جوهره "اللغة" بها يستخرج الشاعر ما تعجز دلالة الألفاظ فى ذاتها عن استخراجه من النفس البشرية ، كاللون العاطفى لفكرة ، أو ظلال المعانى التى تعجز الألفاظ فى ذاتها عن التعبير عنها ، بينما يستطيع النغم هذا التعبير أو على الأقل الإيحاء به .

لهذا وجدنا الدكتور مندور يقول : الموسيقى الشعرية إحدى الوسائل المرهفة التى تملكها اللغة للتعبير عن ظلال المعانى وألوانها ، بالإضافة إلى دلالة الألفاظ والتراكيب اللغوية (٣) ، وبهذا فالموسيقى ليس فى الوزن والقافية وحدهما لأنهما مجرد قالب يصب فيه الشاعر تجربته الشعرية .

والوزن مفيد بأبحر ثابته يصعب تغييرها أو التخلص منها لذلك وجدنا الدكتور إبراهيم أنيس يقف على هذا المعنى فيقول : - التجديد فى الأوزان نادر وتطورها بطىء تمر عليها القرون والأجيال دون أن يصيبها ما

---

١) العقد الفريد – ابن عبدربه – المطبعة الشرقية جـ٣ صـ١٧٧.
٢) قضايا الفن فى قصيدة المدح العباسية – د/ عبدالله التطاوى صـ ٥٣ .
٣) الأدب وفنونه – د / محمد مندور – مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ صـ ٢٩ .

يسترعى الانتباه ، او يلفت النظر ، وذلك لأن ألفة الوزن وشيوعه فى البيئة اللغوية يتطلب زمناً طويلاً وإنتاجاً شعرياً كثيراً حتى يعتاده جمهور كبير من السامعين ويستثيغوا ما فيه من نغم وموسيقى " (١) .

وقد يكون عنصر غير الموسيقى يضيف جمالاً إلى العمل الإبداعى أكثر مما تضيفه الموسيقى نفسها " نحن لا ننكر أن الشعر التصويرى قد يستمد جماله من روعة التصوير أكثر مما يستمده من موسيقاه ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر ضرورة الموسيقى لكل شعر وإلا أصبح نثراً بالبداهة ، كما أن هناك شعراً يستمد معظم جماله من موسيقاه ، بل وتصبح فيه الموسيقى أداة للتعبير تفوق فى أهميتها اللفظ والصورة وذلك لا فى الشعر الرمزى فحسب ، بل وفى الشعر الوجدانى ، وقد نجده فى الشعر الوصفى" (٢) .

والموسيقى تعد العنصر المميز للشعر عن غيره من فنون الكلام لذلك يقول أحد الباحثين " لا يوجد شعر بدون موسيقى يتجلى فيها جوهره الزاخر بالنغم ، موسيقى تؤثر فى أعصاب السامعين ومشاعرهم بقواها الخفية التى تشبه قوى السحر ، قوى تنشر فى نفوسهم موجات من الانفعال يحسون بتناغمهم معاً ، وكأنما تعيد فيهم نسقاً قد اضطرب واختل نظامه ، فهى ترجع به إلى سويته ونقصد سوية حياتنا الوجدانية ، وبذلك فإن الموسيقى تشبع فينا حاجات عميقة إذ تعيد الأوتار المشوشة فى قيثارة حياتنا الوجدانية نسقها الطبيعى ، وهو إحساس دقيق بأن الموسيقى لب الشعر وعماده الذى لا تقوم له قائمة بدونه " (٣) .

والنقاد العرب قد جعلوا من الموسيقى الشعرية المتمثلة فى الوزن والقافية قالباً محكماً لا يجوز المساس به من خلال إلتزامهم بمجموعة من التكرارات الصارمة حيث يكون شكل الموسيقى على عدة إلتزامات منها :-

١- تكرار وحدة صوتية معينة هى وحدة الإيقاع التى تتألف فيما عرف عند علماء العروض باسم التفاعيل .

٢- تكرار عدد معين من وحدات الإيقاع يؤلف بدوره وحدة موسيقية جديدة مركبة هى البيت الذى يتألف من عدد محدد من التفاعيل أو وحدات الإيقاع لابد من التزامه فى كل بيت على امتداد القصيدة .

٣- تكرار صوت معين أو مجموعة من الأصوات الساكنة أو المتحركة فى نهاية كل بيت بحيث يلتزم هذا الصوت بعينه فى آخر أبيات القصيدة كلها وهذه هى القافية .

---

١) موسيقى الشعر – د/ إبراهيم خميس ط٥ – مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٨ صـ ١٨ .
٢) الشعر المصرى بعد شوقى – د/ محمد مندور – الحلقة الثانية صـ٣٧ .
٣) فصول فى الشعر ونقده د/ شوقى ضيف – دار المعارف صـ ٢٨ .

٤- الالتزام بتكرار صيغة محددة من صيغ التفعيلة فى البيت وهى آخر تفعيلة فيه ويسمونها الضرب ، فإذا جاءت هذه التفعيلة فى البيت الأول على صيغة معينة سواء أكانت صحيحة أو معلة ، وجب أن تلتزم هذه الصيغة بعينها طوال القصيدة .

وهناك نوع آخر من الموسيقى يسمى الموسيقى الداخلية وينشأ هذا النوع عن اختيار ألفاظ ذات وقع خاص وتأليفها فى صورة صوتية معينة تبعث فى الفكرة والعبارة روحاً جديدة تجعلها أقدر على النفاذ إلى النفس، وتحكم هذه الموسيقى قيم صوتية أوسع من الوزن والنظم وهى تساير الموضوع وتزيده ثراء فى العاطفة ، وقوة فى التأثير ومن هنا نحس تفاوتاً فى الموسيقى بين الأغراض الشعرية فلا تتساوى أنغام مع الرثاء أو الحماسة مع الحنين ، كما تحس هذا التفاوت فى موسيقى الشعر بين اللين والشدة والانخفاض والارتفاع والطول والقصر ، تبعاً للمواقف المختلفة ، وهذه الموسيقى الداخلية منها لون واضح يعتمد على التكرار مثل الجناس ، وحسن التقسيم ، والازدواج ، والمقابلة وغير ذلك من المحسنات البديعية التى يمكن إدراكها.

ولون خفى لا يدرك فى يسر وسهولة ، ولكننا نحسه فيما يشيعه النص من جو يلائم حالة الشاعر النفسية ويتفق وتجربته ، وهذا اللون من الموسيقى ينشأ عن حسن اختيار الكلمات وحسن التأليف بينها ، واختيار الصور والأخيلة الموحية والمؤثرة .

لذلك فقد وجدنا أستاذنا الدكتور صابر عبدالدايم يونس يؤكد على العلاقة بين الموسيقى والشعر بل يجعلها علاقة فنية وعضوية ذات أبعاد تكمن فى عدة علاقات بين الصوت واللون إذ بينهما ارتباطات وجدانية ونفسية ودلالات فسيولوجية .

" إن العلاقة بين الشعر و الموسيقى علاقة عضوية فالشعر فى صياغته الفنية يتكون من عدة تفعيلات تمثل وحدات موسيقية تكسب القصيدة نغماً آسراً مؤثراً ، وحين تفقد القصيدة سحر هذا النغم ينقطع ذلك الخيط الفنى الدقيق الذى يشد المتلقى ، إلى سماع الشعر فالشعر نغم وإنشاد " (١) ..

وعلى محمود طه من أصحاب الشعر الرومانسى الذى آثر موسيقى خاصة تُحدثها ألفاظه وعبارته مضافاً إليها عناصر أخرى وهو فى هذا نَشم فى صياغته رائحة الغربيين وهى موسيقى يحدثها إيقاع الألفاظ على سمع المتلقى .

يقول أحد الباحثين : " وقد برز على طه فى هذه الناحية واستغل الموسيقى استغلالاً قوياً فى التعبير عن الحالات النفسية التى يمر بها " (٢) .

---

١) موسيقى الشعر العربى بين الثبات والتطور – د/ صابر عبدالدايم – مكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٩٣ م صـ ١٦ .
٢) على محمود طه حياته وشعره – د/ سيد تقى الدين – صـ ٣٩٤

ومما يدل على صحة هذا القول أننا رأيناه يستغل الموسيقى استغلالاً قوياً تعبيراً عن الحالات النفسية التى يمر بها ، نجد ذلك ماثلاً فى قصيدته فى " حافظ إبراهيم " والتى اختار لها الوزن العروضى لبحر " الخفيف " التام والذى يعبر نه :-

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وهى من الصورة التى عروضها صحيح وضربها صحيح إذ يقول فى رثاء " حافظ إبراهيم" :-

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيبْ مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبْ

وخبا من مصابح الفكر نورٌ كان أمضى من الشهابِ وأثقبْ

وطوى الموتُ هالةً كان يُنْمَى كلُّ أفقٍ إلى سناها ويُنْسَبْ

يا سماءَ الخيال ما كلُّ يومٍ من بني الشعر تظفرينَ بكوكبْ

ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشـ ـرقُ صدى شعره الجميلِ المحبَّبْ

وعلى محمود طه فى موسيقاه تأثر بشعراء العربية وخاصة التقليديين مع تأثره بالمحدثين إلا أنه كان يريد أن يقيم الجديد من الشعر على أسس قديمة ، ولهذا وجدناه يصوغ أكثر شعره على أوزان العروض الخليلى ، ومن ذلك مثلاُ قصيدته التى بعنوان نداء الفداء والتى يقول فيها :-

أَخِي ، جَاوَزَ الظَّالِمُونَ المَدَى فَحَقَّ الجِهَادُ ، وَحَقَّ الفِدَا

أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُونَ العُرُوبَةَ مَجْدَ الأُبُوَّةِ وَالسُّؤْدَدَا ؟

وَلَيْسُوا بِغَيْرِ صَلِيلِ السُّيُوفِ يُجِيبُونَ صَوْتاً لَنَا أَوْ صَدَى

فَجَرِّدْ حُسَامَكَ مِنْ غِمْدِهِ فَلَيْسَ لَهُ، بَعْدُ ، أَنْ يُغْمَدَا

أَخِي، أَيُّهَا العَرَبِيُّ الأَبِيُّ أَرَى اليَوْمَ مَوْعِدَنَا لاَ الغَدَا

أَخِي، أَقْبَلَ الشَّرْقُ فِي أُمَّةٍ تَرُدُّ الضَّلالَ وَتُحْيِي الهُدَى

أَخِي، إِنَّ فِي القُدْسِ أُخْتاً لَنَا أَعَدَّ لَهَا الذَّابِحُونَ المُدَى

صَبَرْنَا عَلَى غَدْرِهِمْ قَادِرِينَ وَكُنَّا لَهُمْ قَدَراً مُرْصَدَا

طَلَعْنَا عَلَيْهِمْ طُلُوعَ المَنُونِ فَطَارُوا هَبَاءً ، وَصَارُوا سُدَى

أَخِي، قُمْ إِلَى قِبْلَةِ المَشْرِقَيْنِ لِنَحْمِي الكَنِيسَةَ وَالمَسْجِدَا

أَخِي، قُمْ إِلَيْهَا نَشُقُّ الغِمَارَ دَمَاً قَانِياً وَلَظَىً مُرْعِـدَا

أَخِي، ظَمِئَتْ لِلْقِتَالِ السُّيُوفُ فَأَوْرِدْ شَبَاهَا الدَّمَ الْمُصْعَـدَا

أَخِي، إِنْ جَرَىٰ فِي ثَرَاهَا دَمِي وَشَبَّ الضَّرَامُ بِهَا مُوقِـدَا

فَفَتِّشْ عَلَىٰ مُهْجَـةٍ حُرَّةٍ أَبَتْ أَنْ يَمُرَّ عَلَيْهَا العِـدَا

وَخُذْ رَايَةَ الحَقِّ مِنْ قَبْضَـةٍ جَلاَهَا الوَغَىٰ ، وَنَمَاهَا النَّدَىٰ

وَقَبِّلْ شَهِيداً عَلَىٰ أَرْضِهَـا دَعَا بِاسْمِهَا اللهَ وَاسْتَشْهَـدَا

فِلَسْطِينُ يَفْدِي حِمَاكِ الشَّبَابُ وَجَلَّ الفِدَائِيُّ وَالْمُفْتَـدَىٰ

فِلَسْطِينُ تَحْمِيكِ مِنَّا الصُّـدُورُ فَإِمَّا الحَيَاةُ وَإِمَّـا الرَّدَىٰ (١)

فهذا الموقف موقف سحذ للهمم والشاعر وجد أن بحر المتقارب هو أنسب البحور ليصب فيه تجربته ، حيث يحتوىٰ علىٰ ثمانىٰ تفعيلات يعبر عنها :-

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن

ويتميز هذا البحر بخفته وسرعة تلاحق أجزائه ونغماته مما يتوافق وقصائد حفز الهمم والنشاط لذلك فقد وفق علىٰ محمود طه فىٰ اختياره لهذا البحر وكذلك اختياره لقافيته الدال المعقوبة بألف المد واختيار الدال كما يقول نقاد الأدب :- دلالة علىٰ الحالة النفسية حيث أن الدال تشير إلىٰ أن الشعر صار دالاً من كثرة الحزن ، وهل هناك ألم أشد وأقسىٰ من ألم الاستعمار والاحتلال علىٰ نفوس الأحرار ، وأعقبها بألف المد وكأن تيار الحزن متصل لا ينقطع وقد اختاره ليكسب الإيقاع بطأ يومئ إلىٰ حالة الحزن المترسبة فىٰ ذاته (٢) .

وكذلك التزم فيها الشاعر بثوابت الوزن والقافية حيث أن القصيدة جاءت علىٰ وزن بحر واحد " المتقارب " وكذلك لم ينوع فىٰ القافية إلتزاماً بتراث أمته العربية لذلك وجدنا أحد الباحثين يقرر هذه الحقيقة فيقول :- " لهذا لا نعجب إذا رأيناه فىٰ أسلوبه واختياره لأوزان شعره متأثراً بالشعر التقليدىٰ إلىٰ حد بعيد فهو يميل إلىٰ استخدام البحور المنبسطة التىٰ تتالف من تفاعيل عديدة مثل بحر " الكامل " وبحر الخفيف " وغيرهما

ومن أمثلة بحر " الكامل " التام عند علىٰ محمود طه فىٰ الأعلام قصيدته فىٰ "شوقىٰ" والتىٰ يقول فيها:-

هَجَرَ الأَرضَ حين مَلَّ مقامَهْ وطوىٰ العمرَ حيرةً وسآمَهْ

---

١) ديوان على محمود طه – الهيئة العامة لقصور الثقافة – المجلد الثانى صـ١٤٧ ، ١٧٥ .

٢) من القيم الإسلامية فى الأدب العربى – د/ صابر عبدالدايم صـ ١٢٨ .

هَيْكَلٌ من حقيقةٍ وخيالٍ مَلَكَ الحبُّ والجمالُ زمامَهْ

أَلْهَمَ الشعرُ أصغريهِ فرفَّا في فَمِ الدهرِ كوثرًا ومُدامَهْ

سلسبيلٌ من حكمةٍ وبيانٍ فَجَّرَ اللهُ منهما إلهَامَهْ

وهذه القصيدة من الصورة التى عروضها صحيحة وضربها مقطوع

والقطع :- هو حذف ساكن الوتد المجموع واسكان ما قبله .

متفاعلن تصير متفاعلْ

ومن أمثلة بحر "الخفيف" فى شعر " على محمود طه " فى الأعلام قصيدته فى تحية الشاعر "إبراهيم ناجى" المسماة بالشاعر والتى يقول فيها :-

عبقريٌّ من النَّغَمْ رَجْعُهُ الحبُّ والألَمْ

نَبْعُهُ قلبُ شاعرٍ شارفَ النُّورَ في القمَمْ

ورأى مولدَ الحيا ةِ على شاطئ العدمْ

في رفيفٍ من النَّدَى وحفيفٍ من النسمْ

وإطارٍ من السَّنَا جمع الكونَ وانتظمْ

فهذه القصيدة من بحر " الخفيف" المجزوء وهى من الصورة التى عروضها صحيح وضربها صحيح كذلك ويعبر عنها :-

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن مستفع لن

وكذلك من أمثلة بحر " السريع " التام عند " على محمود طه " فى الاعلام قصيدته " بعد مائة عام " فى محمد على باشا الكبير" والتى يقول فيها :-

مِن هذه الرُّوحِ وهذا الجبينْ يُضيءُ في مصرَ منارُ السنينْ

أشِعَّةٌ من بَسماتِ المُنى ومن رجاءٍ كالصَّباح المبينْ

ومن قُوًى مشبوبةٍ كاللظى عارمةٍ، لا تنثني، لا تلينْ

خَطَّتْ بناءَ الملك ثم ارتقتْ تبنى له المجدَ الرفيعَ المكينْ

أوَّلُ بانٍ أنتَ بعد الذي شَيَّدَهُ فرعونُ في الأوَّلينْ

فهذه القصيدة من بحر " السريع" التام من الصورة التى عروضها مطوية مكسوفة وضربها مطوى مكسوف كذلك .

والكسف هو حذف آخر الوتد المفروق

والطى :- هو حذف الرابع الساكن

مفعولات تصير مفعولا

ويعبر عن تفعيلات هذا البحر :-

مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات

ومن أمثلة بحر " الكامل التام " أيضاً عند "على محمود طه " فى الأعلام فى قصيدته " فى صفوف المجاهدين " والتى يقول فيها :-

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

جاب البحارَ إليكمُ حتى إذا نَصَلَ الدُّجى ألقى عصا تسيارِهِ

هذا الذي قدر الإلهُ حياتَه ليُنقِّل التاريخ في أدوارِهِ

الأعزلُ المنفيُّ فارق قيدَه ورمى بآسره وذل إسارِهِ

عجبًا يُخافُ مطارَدٌ بجزيرةٍ ضرب الوجودُ بها وراءَ بحارِهِ

فهذه القصيدة من بحر " الكامل التام" من الصورة التى عروضها صحيح وضربها صحيح يعبر عنها :-

متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن

ومن أمثلة بحر" البسيط "التام عند " على محمود طه " فى الأعلام قصيدته التى بعنوان " من الأعماق " والتى يقول فيها :-

حَيَّتْكَ في الشرق آمالٌ وأحلامُ وقبَّلتْكَ جراحاتٌ وآلامُ

واستقبلتك على الوادي وضِفَّتِهِ عروبةٌ وَثَبَتْ فَرْحَى وإسلامُ

وحِقْبةٌ من جهادٍ أشرقتْ وهَفَتْ بها ليالٍ من الذكرى وأيامُ

تعانق العائدَ المنفيَّ في بلدٍ حِماهُ للحرِّ إعزازٌ وإكرامُ

ديارُ «فاروقَ» من يلجأْ لساحتها فقد حَمَتْهُ من الأحداث آجامُ

وهـذه القصـيدة مـن بحـر " البسـيط " التـام مـن الصـورة التـى عروضـها مخبونـة والضـرب مخبـون كـذلك ،والخبن :- هو حذف الثانى الساكن ، ويعبر عنها :-

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

ومن أمثلة بحر " الوافر" التـام عنـد عـلى محمـود طـه فى الأعـلام قصـيدته " عـودة المحـارب" والتـى يقـول فيها :-

أتدري الريحُ من ملكتْ زمامَهْ تَشقُّ الغربَ أو تطْوي ظلامَهْ؟

هَفَتْ للشرق فاختلجتْ جناحًا بِه، واستقبلتْ لثمًا غمامَهْ!

وقِيلَ: دنا وحَوَّم، فاشرأبَّتْ ضفافُ النيل تستهدي حِيامَهْ

وعانقه الصباحُ على رُباها غضيضَ الطَّرفِ لم ينفضْ منامَهْ

يضيء بورده الأزليِّ أُفقًا تُظلِّله الرعايةُ والسلامَهْ

وهذه القصـيدة مـن بحـر " الـوافر " التـام مـن الصـورة التـى عروضـها مقطوفـة وضربهـا مقطـوف كـذلك ، والقطف :- هو اجتماع الحذف والعصب معاً .

الحذف :- هو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة ،

والعصب :- هو تسكين الخامس المتحرك ، وتكون صورته هكذا :-

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْ مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْ

ومن أمثلة بحر "الخفيـف"التـام عنـد "عـلى محمـود طـه " فى الأعـلام قصـيدته فى "حـافظ إبـراهيم" والتـى يقول فيها :-

املئي الأرضَ من حدادٍ وغيبْ مالَ نجمُ البيانِ عنكِ وغرَّبْ

وخبا من مصابح الفكر نورٌ كان أمضىٰ من الشهابِ وأثقبٌ

وطوىٰ الموتُ هالةً كان يُنْمَىٰ كلُّ أفقٍ إلىٰ سناها ويُنْسَبٌ

يا سماءَ الخيال ما كلُّ يومٍ من بني الشعر تظفرينَ بكوكبٌ

ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشـ ـرقُ صدىٰ شعره الجميلِ المحبَّبٌ

فهذه القصيدة جاءت علىٰ الوزن العروضى لبحر " الخفيف " التام والذىٰ يعبر عنه :-

فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن فاعلاتن مستفع لن فاعلاتن

وهىٰ من الصور التىٰ عروضها صحيحة وضربها صحيح.

ومن امثلة بحر"الطويل" عند "علىٰ محمود طه" فىٰ الأعلام قصيدة "صدىٰ الوحىٰ" والتىٰ يقول فيها :-

بيانُكَ من نبعِ الجمالِ المخلَّدِ صدىٰ الوحيِ في أسلوبِهِ المتجدِّدِ

سرىٰ لحنُه في كلِّ قلبٍ كأنَّما شدا الحبُّ في نايِ الربيعِ المغرِّدِ

غريبًا علىٰ الأسماعِ وهو كعهدِهِ قديمٌ علىٰ ثغرِ الزمَان المردِّدِ

إلىٰ جبلِ النورِ انتهىٰ سرُّ وحْيِهِ وما هو إلا ملهِمُ اليومِ والغدِ

فغنِّ به الأجيالَ، واهتف بآيِهِ، ترنُّمَ شادٍ، أو تراتيلَ مُنشدِ

فهذه القصيدة جاءت علىٰ الوزن العروضى لبحر "الطويل"التام والذىٰ يعبر عنه :-

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

وهىٰ من بحر"الطويل" التام وعروضه وضربه مقبوضان .

ومن أمثلة بحر "الرجز" عند " علىٰ محمود طه " فىٰ الأعلام قصيدة " بطل الريف " والتىٰ يقول فيها :-

لا السيفُ قَرَّ ولا المحارِبُ عادَا وَيْحَ البشيرِ! بأيِّ سلْمٍ نادَىٰ؟

الأرضُ من أجسادِ من قُتِلوا بها تَجْني العذابَ وتُنْبِتُ الأحقادَا

فاض السحابُ لها دَمًا — مُذْ شَيَّعت شمسَ النهارِ — فخالطتْهُ سَوادَا

رأتِ الحِدادَ به علىٰ أحيائها أتُرَاهمو صَبَغوا السماءَ حِدادَا؟

فهذه القصيدة جاءت علىٰ الوزن العروضى لبحر " الرجز " التام والذىٰ يعبر عنه :-

مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

- أما عن موسيقىٰ القافية فإن القافية عند "علىٰ محمود طه" فىٰ الأعلام قافية ثابتة لاتنوع فيها، والواضح أن تنويع القافية عند علىٰ محمود طه مرتبط بالشعر العاطفىٰ ، حيث يعلو مستوىٰ الشعور وينخفض فيناسب ذلك تغيير القافية وتنوع الصور والأخيلة
- أما عن قصائده فىٰ الأعلام فالصفات العامة لهذه القصائد ، لم ينوع فىٰ قافيته فيها ، بل جاءت بقافية موحدة بأسلوب جهورىٰ .
- ومن اللافت للنظر عند "علىٰ محمود طه" أنه كان يعتمد "التدوير" كعمل موسيقىٰ يثرىٰ العمل الابداعىٰ حتىٰ أنه من كثرته يعد ظاهرة عنده ، من ذلك مثلا قصيدته فىٰ " حافظ إبراهيم " التىٰ يقولها فيها :-

ذهبَ الشاعرُ الذي رَدَّدَ الشـ ـرقُ صدىٰ شعره الجميلِ المحبَّبْ
الأديبُ العريقُ في لغة الضَّا دِ، وقاموسُها الصحيحُ المرتَّبْ
لم يكن شاعرَ القديم، ولا كا نَ لآداب عصرِهِ يتعصَّبْ
كان يُعْنىٰ بكل فَذٍّ من القو لِ، ويُزْهَىٰ بكلِّ حسنٍ ويُعجبْ
شاعرُ الحبِّ والجمالِ، وربُّ الـ ـمنطقِ الحقِّ واليراعِ المؤدَّبْ
شعرُه من ينابع السحر ينسا بُ، وفي عالم الحقيقة ينصبْ
عاطفيُّ القصيدِ، يعبثُ بالألبا ب أسلوبُهُ الرشيقُ ويلعبْ
وخيالٌ يسمو إلىٰ ما وراءِ الكو ن من عالم اليقينِ ويذهبْ
يُنْفِذُ الفكرَ في مجاهل دنيا هُ فيبدو له الخفيُّ المغَيَّبْ

- وكذلك قصيدة "شوقىٰ " وجدنا "التدوير" فيها شائع

تأخذُ القلبَ هَزَّةٌ من تساقيـ ـهِ وينسىٰ بسحره آلامَهْ
رُوِّعَ الطيرُ يوم غاب عن الأيـ ـكِ وسالتْ جراحُها الملتامَهْ
ما الذي شاقه إلىٰ عالم الرو حِ؟ أَجَلْ تلك روحه المستهامَهْ!

راعها النورُ وهيَ في ظلمة الكو نِ فخفَّتْ إليهِ تطوي ظلامَهْ

هي بنتُ السماءِ وهو من الأر ضِ سليلٌ نما الترابُ عظامَهْ

ورأيتُ الجمالَ في شُعَبِ الوا دِي ينادي بطاحه وأكامَهْ

صارخًا يستجيرُ شاعرَه الشَّا دي، ويدعو لفنِّه رسَّامَهْ

- وإذا كان "علي محمود طه" مغرم بالتدوير في جل شعره فإننا نجد عنده قصائد كاملة من قصائده في الأعلام لم يدخلها التدوير أبدا كقصيدته " في صفوف المجاهدين " التي قالها في "سعد زغلول" :-

رُدُّوا على الوادي ربيعَ نهاره آب الزعيمُ اليوم من أسفارِهِ

جاب البحارَ إليكمُ حتى إذا نَصَلَ الدُّجى ألقى عصا تسيارِهِ

هذا الذي قدر الإلهُ حياتَه ليُنقِّل التاريخ في أدوارِهِ

الأعزلُ المنفيُّ فارق قيدَه ورمى بآسره وذل إسارِهِ

عجبًا يُخافُ مطارَدٌ بجزيرةٍ ضرب الوجودُ بها وراءَ بحارِهِ

فَيُجشِّم المنفى البعيدَ بصخرةٍ في مائجٍ مُتَلثمٍ بخطارِهِ

- إن دل هذا على شئ فإنما يدل على أن "علي محمود طه" قادر على التدوير وغيره مما يشهد له بالراعة .

وبعد

ذلك هو الشاعر الملهم من أعظم شعراء أبولو ومغنى الحب والجمال والفن وعاشق الحرية الذى هزَّت أشعاره الوجدان ورددها الأحرار في كل مكان ..

الخاتمة

بعد أن عشت في رحاب "علي محمود طه" ودواوينه معايشة أنعمت فيها النظر ، راصداً شعره الذي تناول فيه الأعلام وكان ذلك في المرحلة الثانية من حياته بعد أن تخلى عن الإنطواء الذي سيطر عليه في المرحلة الأولى من حياته لذلك كان شعره فردياً غنائياً ذاتياً ، أما في المرحلة الثانية فقد وجدناه منفتحاً على قضايا عصره وأمته لذلك فإن من أول النتائج لهذا البحث :-

أولا :- وضوح أثر "علي محمود طه" في الإرشاد والتوجيه واشتراكه في الأحداث العامة لهذا المجتمع في هذه الفترة الحالكة من فترات تاريخ مصر الحديث .

ثانياً :- "علي محمود طه" في معظم شعره في الأعلام كان شاعر مناسبات وهذا دليل على صدقه الشعري والشعوري .

إذ أنه في باب المدح كان ينطقه الممدوح بأعماله ، وفي باب الرثاء كان ينطقه سجل أعمال المرثي وهو في هذا وذاك صادق .

ثالثاً :- لقد انخرط "علي محمود طه" في حياة أمته وقضاياها لم يعد خالصاً لأهوائه ومشاعره الشخصية ، فمضى يرسل آماله وآلامه وزفراته وزفرات أمته حتى عُدَّ من الشعراء القوميين بل هو اللسان الناطق بهمومها .

رابعاً :- أهم ما يميز شعره في الأعلام أنه كان يناسب بين عمله الشعري وبين من قيل فيه فرجل السياسة والحرب يأتي بما يناسبه من صور وأخيله ، وكذلك رجال الأدب ، والصحافة ، والفن مما يشهد له بالبراعة.

خامساً :- القضية الفلسطينية كانت من أكبر القضايا التي شغلت "علي محمود طه " .

سادساً:- تمجيد أحرار الأقطار العربية .

سابعا :- تحذيره للشرق من مكر الغرب ، وفضح مقاصدهم الدنيئة .

ثامناً : خلو شعر علي محمود طه من نزعة التشاؤم .

تاسعاً :- تصويره لمأساة البلاد الإسلامية وحثّ الشعوب على طرد المستعمر .

عاشراً:- لم تمنعه نزعته الوجدانية عن معايشة أحزان الأمة وأفراحها .

أحد عشر :-لقد حقق الشاعر الوحدة الفنية في مناحيها الأربع وهي التسلسل ، ووضع كل بيت في موضعه ، والفكرة الواحدة وإن تعددت المعاني وكذلك كان ينسق بين أجزاء عمله الشعري ومقاطعه تنسيقاً يربط بينهما برباط قوي ويجعلها متلاحمة متلائمة ولقد كان في كل ذلك غواصاً استطاع أن يوجد خيطاً يشد به كل الأطراف

ثاني عشر :-:- لقد كان الشاعر ينوع في صوره فهي تارة سريعة إذا كانت تتحدث عن موقف فيه سرعه كالثورة والحرب والكر والفر ، وتارة بطيئة إذا كانت تتحدث عن موقف ممتد يحسم في تصوير التعليل كما كانت متنوعة بين الغيم والإشراق فكانت مشرقة عندما كان يتحدث عن الفرح والنصر ، وكانت تغيم عندما كان يتحدث عن الإحتلال والنفي لأحد الأعلام .

ثالث عشر:- لقد كان علي محمود طه في موسيقاه يتعامل معها على انها وسيلة للتصوير وليست غاية لأن الموسيقى تجعل الصور منسقة وتجعل من القصيدة بناءاً جميلاً وتعمل على جذب المتلقي لتحقيق المشاركة الوجدانية ، ولم تقتصر موسيقاه على الموسيقى الخارجية التي قنن لها علم العروض بل تحققت له الموسيقى الداخلية من خلال إختياره لحروفه وألفاظه وعباراته ، وحركاته الإعرابية وهذه الموسيقى هي التي تقع المفاضلة بين الشعراء من خلالها كذلك تميزت عاطفة علي محمود طه بأنها عاطفة عامة " قومية " تعبر عن شعبه وامته لأنه أيقن أن الشعر هو رسالته ما هو إلا مرآة عاكسه لكل ما يدور في بيئته ومجتمعه ، ومن هنا استحق أن نطلق عليه شاعر الأمة والعروبة .

وبعد

لقد كان علي محمود طه شاعراً موهوباً استطاع أن يملأ الآفاق بشعره في حياته وبعد مماته في مختلف الاتجاهات والأبعاد ، فكما تغنى بالمرأة والطبيعة وقصد بشعره إلى مشاعره وخواطره وكان شعره نسيج نفسه وكان مرآة صادقة لعواطفه وانفعالاته الذاتية ، فإنه كذلك تناول قضايا وطنه مصر والعالم العربي والإسلامي في شعره الموضوعي الواقعي فكان شعره نسيج للأحداث السياسية في المجتمع .

المراجع

١- أرواح شاردة – على محمود طه طبعة سنة ١٩٤٢

٢- الأدب العربى المعاصر – د / شوقى ضيف – دار المعارف –الطبعة الثالثة عشر .

٣- الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر – محمد فتوح أحمد – الطبعة الثالثة – دار المعارف سنة ١٩٨٤ م .

٤- الأسلوب – أحمد الشايب – المطبعة الفاروقية بالإسكندرية سنة ١٩٣٩ م.

٥-الأصول الفنية للأدب – عبدالحميد حسن – مطبعة العلوم ١٩٤٩ م .

٦- الأدب وفنونه – د/ محمد مندور – مكتبة نهضة مصر ١٩٦١ م .

٧- الاتجاه الوجدانى فى الشعر المعاصر – د/ عبدالقادر القط – دار النهضة العربية بيروت – الطبعة الثانية ١٩٨١ م .

٨- النقد الأدبى الحديث أصوله واتجاهاته – د / أحمد كمال ذكى – دار النهضة العربية – بيروت ١٩٨١ م .

٩- الشعر المصرى بعد شوقى الحلقة الثانية – د/ محمد مندور – مطبعة الرسالة القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

١٠- الصورة والبناء الشعرى د/ محمد حسن عبدالله – دار المعارف ١٩٨١ م .

١١- العقد الفريد لابن عبدربه – المطبعة الشرقية – الجزء الثالث .

١٢- اللغة والدلالة فى الشعر – د/ على عزت – الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٦م.

١٣- حديث الأربعاء – د/ طه حسين – الجزء الثالث .

١٤- تاريخ العرب الحديث والمعاصر – د/ عبدالعزيز نوار – د/ رأفت غنيمى الشيخ .

١٥-تطور القصيدة الغنائية فى الشعر العربى المعاصر – د/ حسن أحمد الكبير – دار الفكر العربى .

١٦- على محمود طه حياته وشعره –السيد تقى الدين السيد – المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية .

١٧- على محمود طه الشاعر والانسان – أنوار المعداوى – الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة سنة ١٩٨٢ م .

١٨- على طريق الأزهر فى ألف عام – د/ إبراهيم على إسماعيل عوضين – مطبعة السعادة ١٩٨٢ م

١٩- دراسات في الشعر العربي المعاصر - د/ شوقي ضيف - دار المعارف - الطبعة السادسة سنة ١٩٧٦ م .

٢٠- ديوان علي محمود طه - طبعة دار العودة بيروت ١٩٨٨ م .

٢١ديوان علي محمود طه - الهيئة العامة لقصور الثقافة .

٢٢- فصول في الشعر ونقده - د/ شوقي ضيف - دار المعارف - الطبعة الثالثة .

٢٣- مختارات من الشعر الحديث - د/ عبدالحميد الطنطاوي .

٢٤- مجلة أبولو عددي فبراير ، أكتوبر سنة ١٩٣٢ م .

٢٥- مطالعات في الكتب والحياة - عباس محمود العقاد - دار المعارف سنة ١٩٨٧م.

٢٦-قضايا الفن في قصيدة المدح العباسية - د/ عبدالله التطاوي

٢٧- مجلة فصول العدد الثاني المجلد الأول - يناير ١٩٨١ م.

٢٨- مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر - سيد قطب- مطبعة الطلبة مصر سنة ١٩٣٢ م .

٢٩- موسيقي الشعر د/ إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٧٨ م .

٣٠- موسيقي الشعر العربي بين الثبات والتطور د/ صابر عبدالدايم يونس - مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٩٣م .

٣١- من القيم الإسلامية في الأدب العربي - د/ صابر عبدالديم - مؤسسة العصر الحديث (دار الشرق) ١٩٨٩م.

٣٢- وحي الرسالة - أحمد حسن الزيات - المجلد الثاني .

٣٣- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة عددي ١١،١٣ ، سنة ١٩٩٣،١٩٩١م